



BOBST LIBRARY



3 1142 02824 7602



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE

DUE DATE

* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *





مطبعة الجمعية الأدبية المصرية

في
الرواية العربية
مع التجميع

Khūrshūd, Fārūq

فاروق خورشيد

/Fī al-riwayah al-arabiyah/

الدار المصرية للطباعة والنشر
٥٩ شارع منبى زغلول الاسكندرية

PJ
7571
K5

~~2258
5 23
3~~

~~Wear-End
PJ
7577
K5
C1~~

قدمت هذه القراءة في سلسلة من الأحاديث اذيت بالبرنامج الثاني

مقدمة

المنتجع لحركة الإنتاج الفني في أدبنا المعاصر يلحظ أن فن الرواية أخذ يحتل تدريجياً مكان الصدارة في حياتنا الفنية ، وأصبح يشغل القسط الأكبر من اهتمام المنتج والمثقف والتأقذ جميعاً . . . كما أصبح يحظى باهتمام الكثيرين من الدارسين يحاولون أن يضعوا له القواعد والأسس .

وواقع أن هناك ملاحظتين هامتين تستثيران الانتباه في هذا الحقل . . الأولى هي أن الإنتاج الروائي العربي المعاصر يصل إلى درجة من الإصالة تجعل من المذهل حقاً أن يكون هذا الفن وليد عشرات من السنين لحسب . كما تجعل من المتعذر على التفكير العلي أن يقبل ما يردده الكثيرون من أن هذا الفن مستحدث في أدبنا العربي لا جذور له ، تقلناه مع ما نقلنا من صور الحضارة القرية ، وقلدناه محاكين ما نقلنا ، ثم بدأنا نتج بعد هذا ألواناً متفردة من هذا الفن الجديد على أدبنا . . إذ ليس من المعقول في تاريخ أي لون من ألوان الأدب أن يصل إلى ما وصل إليه فن الرواية عندنا من تقدم في مثل الوقت الذي يقترح فيه أصحاب هذا الافتراض الذي يعتقه الكثيرون . . والأدب ليس بدعة تنقل فتحتذى ثم ماتلبث أن توصل نفسها عند المقلدين ، إنما الأدب جزء من طبيعة

الشعب ، وليدخل لون جديد من الإنتاج ويزدهر عند شعب من الشعوب لا بد أن يستغرق من الزمن والتطور ما يواظم بين مزاج هذا الشعب وبين الفن الجديد . . بل لعله يستلزم ألواناً من التغيير تطرأ في حياة هذا الشعب وتقاليده بحيث يقبل على هذا الفن الجديد . . وكلمة تغيير هنا لا تعنى الشكل الخارجى للحياة بقدر ما تعنى التغيير الجذرى الذى يمس الأصول الأولى لمكونات هذا الشعب . . وليس في الزمن المقترح — وهو لا يتعدى عشرات السنين — ما يسمع لنا بأن تنقل هذا الافتراض مسلين ، ولا بد لنا إذن من البحث عن سبب آخر غير التقليد ، كما لا بد لنا أن نبحث عن أصول أخرى غير النقل والترجمة لفننا الروائى العربى الذى أخذ يتكامل هذه الأيام بسرعة مذهلة . .

الملاحظة الثانية هى ان كل دراسة تتناول الرواية انما تعتمد في تسليم مطلق إلى البحث عن قواعد وأصول في اتجاهات الرواية في الآداب العالمية من حولنا . . وقد أدى هذا إلى نوع من الاضطراب في القيم والمقاييس . . فليس من شك في أن وجود أكثر من اتجاه ثقافى عند الدارسين قد أدى إلى وجود أكثر من تيار نقدى يتحكم في تقييم الأعمال التى يتناولونها . . وقد يكون هذا التعدد في حد ذاته مفيداً لو كان يلبغ من أصول عميقة لها علاقة بترائسنا وفننا ، أما وقد استمد هذا التعدد وجوده من الارتباط

بآداب أخرى لا علاقة لها بالمنايع الأولى لفتنا ، فمن هنا يؤدي هذا التنوع إلى الخلط والاضطراب... وهذا التعدد في الاتجاهات عند الدارسين والنقاد قد أدى في وقت ما إلى ما يشبه التوقف في إنتاجنا الروائي إثر ما أحس به المنتجون من حيرة واضطراب أمام تعارض الأحكام النقدية واختلافها .. بل لقد أحس الكثيرون من المنتجين ان الدارسين والناقدين يريدون أن يفرضوا عليهم اتجاهات بعينها في الإنتاج ، وأحسوا بمعجزهم الفني حيال هذا الغرض ، ربما لأنه لم يكن يوائم طبيعتهم الفنية ، وربما لأنه كان بعيداً كل البعد عن تصورهم للعمل الروائي . وهو في كل حال اتجاه مفروض منقول لم يستمد جذوره من حياتنا وفننا ..

هاتان الملاحظتان تحثان دراسة فن الرواية العربية دراسة جديدة تحاول أن تجيب على هذا السؤال : أليست هناك جذور أعمق من النقل والترجمة للرواية العربية ؟ ..

والواقع ان الدارسين المحدثين لفن الرواية والقصة العربية قد استراحوا إلى الافتراض الذي يقول إن هذا الفن مستحدث في أدبنا ، نقلناه نقلاً عن الآداب الغربية ضمن ما نقلنا من صور الحضارة والفن في مطلع حركتنا الفكرية عن طريق الترجمة حيناً ، وعن طريق المحاكاة والتقليد بعد ذلك ..

وقد أكد هذا الافتراض في أذهانهم أن دارسى أدبنا العربي القديم ألقوا الضوء كله على تراثنا الشعرى ، واعتبروه الفن القولى الأول عند العرب ، وشغلوا الأذهان بما أخذوا أنفسهم به من منهج يقوم على الشك الشديد والانتكار الجازم الذى ينتهى بهم إلى إثبات ما نقلته كتب البلاغة والنقد العربى فى أمر الشعر.. وكأنهم ما أرادوا بهذا المنهج الذى أخذوا أنفسهم وأخطوا الناس به إلا إثارة الانتباه إلى أهمية التعرف على هذا اللون من التراث والعناية به ..

وسار التابعون على سنة من سبقوهم فى الطريق ؛ فركزوا دراساتهم كلها على الشعر فى عصوره ، والشعر فى بيئاته ، والشعر فى أغراضه ، والشعر فى مقاييسه ، والشعر فى تطوره .. ورغم هذا الحرص الشديد الذى تناول به الدارسون الشعر العربى ، من منهج يقوم على الشك أول الأمر ، ثم على دراسة البيئة بكل مكوناتها ، ثم على دراسة الشاعر نفسه على ضوء عصره وبيئته ثم آخر الأمر على دراسة الشعر على ضوء مفاهيم النقد والبلاغة .. رغم هذا الحرص فى دراسة الشعر نحس قصوراً ملحوظاً فى الاهتمام بأمر الانتساج الثقى ، ونحس تسليماً مطلقاً فيما تناقله البلاغيون القدماء بأن النثر العربى اقتصر على الحكمة وجمع السكبان ، ثم على الخطابة والرسائل بنوعها .. ١

لم يشكوا لحظة كما شكوا في أمر الشعر . وم يعرفوا هذه الحقيقة التي ينقلونها نقلا عن كتب الملاحة على سبيل البحث والدراسة . من سموا بها تدبيرا طائفا وجدوا فيها نقلته هذه الكتب إليهم من بمدح الشعر ما يعيهم ويشعلهم عن غيره من افتنون . والعجيب أن هذه الدراسات الحديثة المساعدة في الشعر لعرف قد حرجت إلى نتائج واضحة تؤكد أن مؤرحي الأدب القدماء واللاعين الذين قد حذعوا لدرسين المحدثين في أمر الشعر والشعراء . . .

فقد وجد الدارسون المعاصرون أن لشعراء الذين اعتبروهم حريبا ورميهم من شعراء من اللاعين قوما شاعرا لم يكونوا إلا بمدح لها من شعراء . ان لم يكن هاما يعرفون وملو عليها

واكتشف الدارسون المحدثون أن ما عرفوا من شعر ليس ديوان العرب كما حسبوا . بل ليس إلا قصائد صنيعة في الإنتاج لشعري اصحح التي قدمته أمة العرب لدراسة الناس .

وعرفوا متأخرين — أن ما شغلوا أنفسهم وشغلوا الناس به من أمر دراسة الصور الملاحية والمحسنات السديعة ، وما عرفوا فيه وأغرقوا ليس معهم فيه من المحطات في تشده والاستعارة والسكنية ، ونظام والجناس ، نفس بحث في صميم الشعر ، وما هو

يبحث صائغ وحده بلا فائدة لأنه أقرب إلى عمن أصحاب اللغة منه
إلى أصحاب الفن .

وأدركوا أن ما جرم إليه البلاغيون العرب من تفاصيل قد
أبعدهم في الطريق فراجع عن البحث في صميم الشعر وحقيقته
وكيانه . .

وبدأت النظرة إلى المراجع التي كانت تعتبر مقدسات يدهم
شيء من الحذر والتدقيق . فالبلاغيون القدماء ليسوا بالحكم لأول
والآخير إدهم قد تأثرو ولا شك بدوق العصر تأثراً كبيراً ، من
تأثروا بأوصاف اجتماعية كانت تسود مجتمعاتهم وتتدخل في الحكم
على الأشياء ، وفي تقديمها من رواية بعضها وتخدم عرساً بدته ،
من لعل بعض الأغراض الشخصية والعصبية العنصرية ولدعوى
الدينية والفكرية قد دخلت هي الأخرى فساعدت على بلوره
أحكامهم وآرائهم ، من لعلها قد دخلت لحدد الصورة التي ينقلون
ويرسمون ، والشعراء الذين يدرسون ويقدمون . .

فهؤلاء البلاغيون قد قصرو المتقدمين رماً على المتأخرين ،
وأخرجوا شعراء لشكهم في دينهم . كما أخرجوا آخرين لشكهم
في ولائهم للعرب ، بل لقد حرص شكل الحكم نفسه في أحكامهم
على الشعراء الذين يؤلون الخليفة أو يقتلون منه موقف العدا . .

وكان يكتفى عندهم لحظاً للوعى أو السجوى ليهبط من قد شاعر
بصرف النظر عن أى عامل آخر .

كل هذه الحقائق مهت لدراسة المحدثين للشعر العربى ،
فقامت لدراسات نهض بالعلم بمدى تدايته ، لتحقيق دواوين الشعراء ،
وتعديد النظر فى الأحكام ، ونسكتشف كل يوم شاعر أقد أعين ،
أو حكماً قد صدر على غير أساس من البحث ' فهو الخاص ،
وتنقصر دراسات لشعرى كنه نظراء حديده ، تنكر على فهم حديد
لرسالة الشعر الإنسانية بصرف النظر عن رسالته اللغوية ..

فليس معقولاً أن ننه كلامه العربى ساد حصراً بها العام
حتى يمنية كيرة ، وحيث ثقافت وز ثاب متعددة ، وطلت
على لغتها كل ما ياش حولها من ثقافات عاصرتها أو سبقها إلى الظهور ،
ليس معقولاً أن تعبر عن عنها أعراض شعرية لا تخرج عن
لمدح والمجاء ، والوصف والثناء وان كانت هذه الأغراض
تخدم أهدافاً قبلية أو سياسية أو مذهبية معينة فلس من المعقول
أها كانت وحدها لن ادى يعبره الشعب العربى عن نفسه ؛ عن
آماله وآلامه . عن نظوره وصراعه .

من وليس معقولاً أن دولة كالمدينة الأموية هضت تعب
صحهم فى إقرار احصاره الإسلامية ، وسابقة فتوحات ، وبدأ

تنظيمات وتشريعات جديدة في حياة العرب بل وفي حياة
الحضارة الإنسانية كلها. ليس معقولا أن يكون أروا إناجها
الأدبي المعبر عن حضارتها هو ما دار بين حرير والفرردق
والأحطل من مناقض مثلا ١

بل وليس معقولا أن اللحميين في الحياة والعانيين في الشام
وهم الذين عمروا طويلا ، ولعمرا من المدينة شأوا أكيرا إدا عاشوا
في ركاب الدولتين الكبيرتين الفرس والروم ، لا يبتغ أبناؤهما
شمرأ على الإطلاق . ١

كل هذا جعل الدارسين المحدثين الذين اهتموا بالشعر كل هذا
الاهتمام يحسون أن تسليمهم بما نقلوا عن كتب البلاغة والتاريخ
الأدبي يحتاج إلى الكثير من الفحص والمناقشة والمراجعة . .

ورغم كل هذا فقد ناقشوا وخصوا ما تعلق بالشعر . .

أما النثر فقد أقبلوا على دراستهم له مسيين تسليما مطلقا بأن
العرب لم يعرفوا في نثرهم إلا هذه الاشكال الساذجة : تنمغ وأمثال
وحطب في الحاهلية ، ورسائل ديوانة واحوابية إلى حوار يتساع
في الخطأه في العصر الأموي ، فاستمرار للكتيبة لديوانية في
العصر العباسي ، فجموعه من المقامات والرسائل بعد هذا العصر .

وحى فى المرسلات العديدة التى قامت لبحث أمر هذه الاشكال
الثورية من لانتاج الادنى اهم لدارسون . سألته الشريعة
لصرف النظر عن رسالته لمة . محتوا صو الصعة فى أشكالها
المتعددة وتطورها إلى التعقيد والإسراف مرد . أو إلى بساطة مرة
أخرى تبعاً لدور العصر . أما أهمية هذه تثر كأداة لمة فى التعبير
عن قائله وعصورهم فم يدخل فى حسان هذه الدراسة

وهكذا اساق الدارسون لثثر وراه البلاعيين فى البحث عن
القيم الشكلية من صنعه فيها المهارة والحدق ، أو فيها التكلف الشديد
والجهل الشاق ، ولكن ليس فيه التعبير الواضح الذى نريده من
تراثه . وكانت أعمالهم أقرب إلى الدراسات لشكلية ، وكأن
الثثر من تشكيلى يبحث من حيث دلالات خطوطه وعلاقاتها بعضها
بالبعض دون النظر حتى فيما ينظر إليه فى البحث فى الفنون
الشكلية من دلال أعمق هذه الخصوص وعلاقاتها .

ولست أريد هه أن أهاجم أحداً ، ولا شك أن هذه الأعمال
أحدثت من أبحاثها جهداً صحماً كبراً ، ولا شك أيضاً أنها
كشفت عن حركات معينة من تزيح أدما لثرى ، ولكن الذى
أحب أن أبه إليه هو أن الدارسين فى الحقل الثرى قد نفلوا
أحكام البلاعيين القدماء دون مفاشة ودون أن يسألوا أنفسهم .

كيف نقبلوا ؟ اننا فنياً نشأ دون بحث دلالاته الإنسانية ؟ .
بل كيف نقبلوا زائناً فنياً يعوزه القصص ؟ وكيف حدث أن الأدب
العربي في صورته هذه التي ينقو بها إلينا عبر أبحاثهم فقير كل الفقر
في إلتاح الروائي واقصصى ؟ ..

وهناك حقيقتان هامتان يسعى أن يوصفا في الاعتبار

الحقيقة الأولى أن من الشعر وإن كان أعلى مظهر التعبير الفني
في كل الآداب ، إلا أنه في واقع الأمر يمثل طبقة معينة من الفنانين
والمتذوقين جميعاً .. وهو - عند النظرة المنفحصه العميقة -
إنما يعكس الحياة الفنية لقطاع معين من الإلتاح التي ، فهو لغة
الطاقة التي تتوفر لها نوع معين من الثقافة والحس وليس لغة جميع
المشتغلين بالحياة الفنية ، نتاجاً وتنقياً .. وهذا الذي حدث ما من الشعر
العربي إنما دخل عصر آخر في تحديد الطبقة التي يعبر عنها . ذلك
أن أشعر اتحد في الحياة العربية للنكس فكان هو وسيلة التقرب
للسلطان في شتى صورته ، واحتضن الحشاه والوراء اشعراء
يمدحونهم ويعطون .. وحين أرح المورحون سلطوا أصواءهم على
هؤلاء الشعراء الذين قربوا من السلطان وخطوا باهتمامه .. وفي هذا
تفسير واضح لعلنة المدح على الشعر العربي .. ونحن هذا كله يعنى
أن معظم الشعر الذي اهتم به الدارسون القدماء كان ذا الذي يمثل

طقة بعضها من اشعراء والمتنقذين . فما أحسب أن الناس في عصر
من العصور يكتفون بما يقال في موكبهم وحلفاتهم من مدح ،
ويعتبرونه الفن المعبر عنهم جميعاً .

الشعر نعامه أدنى لعمه لمن عبد صانعة بداهتها من المتقدمين
والمتأخرين ، وهو في الشعر العرفي إلى جوار هذا ، لغة الفن عند
مجتمع معين تصمم هؤلاء الذين يتحدث إليهم وعندهم ، ويستفيد قائلوه
منهم استفادة مادية مما يصل إليهم من عطاء ، واستفادة أدبية
مما يحيطون من اهتمام عدد المتقنين والممارسين والمؤثرين ..

والحقيقة الثانية أن شعوبنا إنما تعبر عن نفسها بلغة ، ولغة
الناس هي الأثر . الأثر في سهولة في الأداء ، وسهولة في التلقي ،
وسهولته في التعبير عن حياة الناس الحقيقية . . ولكن هذا الذي
جاءنا من الأثر العرفي يكاد يخرج في مساه وفي هدفة من دائرة الفن
في حدوده وأهدافه . فهذا الذي نقلوه إنما هو تجربة سكاك تقرب
— فيما وضع لها من قيود شكلية — من طبيعة الشعر في حاجته إلى
استعداد خاص عند المتلقي والمنتج ، وليس هو البتة الذي يمكن أن
يتداوله الناس تداولهم فنن معبر عن حياتهم تعبيراً حقيقياً .. وهو
في هدفة وعامته يكاد أن يكون أداة في حده طقة يربطها من
المتقنين ومن العاملين في الحياة السياسية والاجتماعية . وهو هذا

أيضاً يخرج عن دائرة الخالد الذي يمثل روح الشعب
وحقيقته ..

وإذ كان الدارسون قد استطاعوا أن يذكروا كل أحفاد عن
الشعر فيحاولوا بهجدها بما يتيح لهم أن يقدموا لنا تراثاً
شعراً حقيقياً لا يرتبط بقدر لإمكان - بما درسه الدارسون
بقدماء من حقائق ودعوى كانت بفصل الشعر عن جوهر الدرس
ونقصه على محتملات بعضها . فالواجب لنا حين في الخلق
الثنائي لا يقل في خطورته وأهميته عن هذا الذي قام به دأبو
الشعر . وأحسب أن المسئلة تحتاج إلى جهد "بحث عن صور
أخرى من التعبير لأهم الدرس . كما سأل في الجهد في
لبحث في الصور المنعزلة أيضاً بهج جديد وفهم جديد ..

وأهم أشكال التثنية عنها آداب العلم شعر عن روح الشعب
وطبيعته هي الرواية والقصة .. ولم يحل أدب في العالم من تراث
قصص كبير بعينه ، وبثري معرفته تاريخ شعبه وحضارته . ونجد
أسئلة .. وأدباً عربياً ؟ أين فيه لعصه الرواية ؟ وقبله
يأتى سؤال . أكاد حياة العرب بليده حمده لا تعرف التعبير
عنها إلا في طبقاتها العليا المنحلة بالحكم والحكام ؟ . أعني ، هل
جدد حب الشعب العربي إلا فيما يتعلق بأغراض القسيه أول الأمر

والخليفة بعد ذلك ، لم يحسن محاكمته إلى لون من التعبير يعبر عن
محموه في مختلف طائفاته ؟

الحقيقة نقول غير هذا ..

حياة العرب في الخاهلية كانت رعم كل شيء - حياة
حصصه بالأحداث ، مليئة بالحركة والنشاط . وهايك شعب
يعيش دائما على حذر : على حذر من الصحراء التي تحيط به دائما
وتتطرق على حياته من كل جانب ، وهي بعد هذا محمول بحيف
لا يدري من أمره إلا القليل الألف . وهو على حذر من اعتداء
نعمه على بعض ، يدفعه إلى هذا حاجة العيش وقلة الثروة وصعب
فرص الحياة إلا لأقوياء . وعلى حذر من اعتداء الآخرين عليه
فهو يقف في طريق اتصال الشعوب ببعضها ، وهو يتحكم في خط
سير التجارة بين أحرار لعالم المعروفة آنذاك ..

وهايك بحياة هي ساسة من الانتصارات على قوى الطبيعة
مرة ، وعلى أقوى الخارجية أخرى .. وهي أيضا سلسلة من الهزائم
الفاجعة أمام هذه القوى متفرقة مرة ومختلعة مرات ..

هذا ، حياة التي استمر بها وصعدت انصها من قيم وما خلقت
من تقاليد ، وهذه الحياة التي نسميها راحة الصراع ، ونسمع فيها

جاءته كيف يمكن أن تخلو من كل صفة إلهية أو القصة ؟ كما
حاول القدماء ونعمهم المحدثون أن يثبتوا ويقولوا ؟

وحياة العرب في الإسلام كانت حياة سهلة ماعمة عليه . من
هي تنقسم منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها دعوة الإسلام بالصراع
الذي لا هوادة فيه . . حرب ضد الدعوة الجديده أول الأمر .
حرب مستمد دافعها من الانبعاث للقديم ، والتمسك بالصورة التي
تملأ أذهانهم عن الحياة والكون والآلهة . وبأحد وقودها من
الحقد والبغضاء ، والسافس في مصير التعوق والسيادة والعصية . .
ثم هي حرب مع الدعوة الجديده لتسود أرض العرب . حرب
ضد الأهل والأصدقاء والخلال ، حرب ضد العلاقة التي تربط
الإنسان بأهله ، حرب ضد العصية والتحيز . . ثم هي صراع
مرار من أجل أن تسود هذه الدعوة ما جاور بلاد العرب من
بلاد ، وما أمكن أن يصل إليه العربي في رحلته من أرض . وهو
صراع مؤمن هذه المرة ، واع لخطواته وأهدافه تمام الوعي . .

وهذه الحروب كانت في كل مراحلها حرباً بالسيف وحرباً
نفسية مريرة ، صراعاً واحتجاجاً في العال والمعلوب ، وصراعاً حقيقياً
يحيش بالنفوس ويهرها هراً إذ يقاوم فيه العربي ما ورثه من
تقاليد وعقائد ، ويقاوم فيه راحة لدم التي تربطه ببعض من

ويحارب ثم هو يقاوم فيه ما تحبه النفس الإنسانية من سلامة وأمن
ودعة وإكمال . . . وهي حياة مليئة بالمثل تصرّب كل حين . مثل
الحب والتضحية والإيثار . ومثل الكراهية والعدو والأثرة . .

وحياة العرب بعد أن استقر الإسلام تمّوح بأشياء وأشياء ،
فهناك شعوب جديدة تدخل هذه الحياة تنصح بعد حين جزءاً من
مكونات هذه الأمة . وهي تدخل في حذر أول الأمر يكاد يصل
إلى مرحلة الصراع السافر ، صراع التقاليد والعادات والأفكار .
بعد أن انتهى الصراع الحربي بهزيمة هذه الشعوب . . ثم ما تلبث
هذه الشعوب أن تدخل تدريجياً بأفكارها وعاداتها إلى الحياة
العربية مطوره ما وجدت ، مضيغة إلى حياة العرب مفاهيم وعادات
وأفكار تمزج بعد حين بالمفاهيم والعادات والأفكار العربية
لتصبح كلها جزءاً من التراث العربي في مجموعة . . وهناك أيضاً
صراع مريب على مكان الساحة في هذا الشعب الكبير بين أبنائه
وطوائفه ، يتأثر بهذا الصراع كل جزء من أجزاء هذه الأمة مرة
أخرى ومرة بما يأتي بالويل والتكال عليه . . من وهناك صراع
نحو التطور في كل مظاهر الحياة يقوم به الرواد وتبعهم باقي
طبقات الشعب في تمرد حيا وفي إيمان بعد حين . . وتتطور الحياة
وتتعدد وتأخذ الأفكار السببية والاجتماعية مكانها من الصراع .

فتصارع فيما بينها ويتعكس هذا الصراع على حياة الأمة جميعاً ..
هذه الحياة إذن ليست حياة حاملة لشعب ليبدو سكتها حياة
حصنة نامية ، ملته بالأحداث ، وملينة بمظاهر الصراع ، ومهيئة
بالحركة والحياة الدافقة ..

حياء هذا شأنها ليس من العجيب أن نسال كيف لم ينم بها
المن لقصى ، وكيف لم يتطور ، ولم يردده ؟

والإجابة على هذا السؤال لا تخرج عن شيئين

الأول أن هذه الحياة لم تنح وأقصصا لأى سبب من
الأسباب .. وهذا فى حقيقة الأمر شئ لا يقببه العقل ولا المنطق
ولا طبائع الأشياء ..

والثانى هو أن هذه الحياة أخرجت كغيرها من حيوات
الشعوب وأقصصيا معبراً جديراً بمنش هذه الحياة ، ومنش هذه
الحصارة ، ومنش هذا الشعب .. ولكنه لم يصل إليها لسبب
أو لآخر ..

والواقع أن الدارسين للأدب العربى لو اهتموا بأمر القصة
والرواية اهتمامهم بأمر الشعر لا كشفوا أن هناك حصة أخرى
قد أوقعهم فيها لتلاعيون القدماء ومؤرخو الأدب حين قصروا
همهم على تناول الشعر ، واكتفوا به عما عداه .. هذه الخدعة

هي أن حاساً كبيراً وحظيراً آمن أدباً قد أهمل إهمالاً ، وترك
للسبب عن عمد في افتراض ، وعن تعصير وقصر في لطف في
الافتراض الأحسن .

والعجيب جداً أن يسر لدرسون أن في الرواية والقصة ،
في مستحدث ثقته إلى " ترجمه والاتصال بالآداب الأخرى .
وكان ترجمه والاتصال بالآداب الأخرى أشباه لم يعرفها من
العرب ، لا نحن ، ولم يقر بها من أدباء أمم ولا جيلنا . بينما هم
يعرفون أن العرب اتصلوا بالآداب الأخرى منذ مطلع تاريخهم ،
وأهم ترجموا عن هذه الآداب التي عاشت من حولهم معظم ما عثروا
عليه من تراث ، فكيف أمكن أن نقله نحن في عصرنا هذا ، ولم
يقبلوا هم في أي عصر من العصور ؟

أوافق أن كل هذه الأسس التي أترها تحتاج للإجابة عليها
في بحث في تاريخنا وتراثنا ، على نجد من الشواهد ما يشير إلى أن
أدبنا وتراثنا لم يهمل هذا النوع الحيوي من الإنتاج الفني ، ولم
يحذف عن غيره من الآداب في الإضافة إلى التراث الإنساني بما
يعنيه ويثريه .

وهذا ما سنحاوله في الفصول القادمة إن شاء الله

الدارسون والقصصى الجاهلى

الشواهد كلها تشير اشارة واضحة إلى أن الأدب العربى عرف
لقصة في كل عصوره ، من وعرف منها ألواناً وفنونا ، لا أن
الشاهد كلها أيضاً تقول إن هذه الصور قد أخرجتها أيدي
المؤرخين القدماء ، والدارسين الراصدين لإنتاج لغى من إسط
الأدب ، لا ماسف منها وأصبح بلاغاً في تطور أو اشاع ،
وما انحرف منها عن الهدف الأصيل لكأنه القصة إلى أهداف
أخرى تلائم مفهوم هؤلاء المؤرخين والراصدين للأدب من ارتباط
من سلطات حكم ومن لإنتاج الهى ، ومن علاقة لاد أن تتحقق
بين ما يفتنون من إنتاج وبين أشكال الفن التى تستخدم سبطه الحكم
القائمة ، بل ومن عرفة أصحاب الإنتاج بأصحاب السطه في عصرهم

وأحب أن هد الانعام منبر الكثير من السخط والحق عدد
كثير من الناس ، ولكى أحب أيضاً أن مراحة صغيرة لى
كتاب من كتب السطه سبقت حجة هذا الرعة وقربه من السطه
والواقع ، وأحب أيضاً أنه من السطه أن يفهم أن أصحاب السطه
هـ ، يكونون أصحاب السطه امدية حياً وأصحاب السطه لمدية
مرة ، وأصحاب السطه في الحظاظ على اثر ث العربى مرات .. من

الثالث المعروف أن الأدب العربي لم يدرس في العصور الإسلامية الأولى لنفسه، وإنما هو قد درس من حيث هو وسيلة إلى تفسير القرآن وإلى استنباط الأحكام منه ومن الحديث

و'تقصص من دأب من سياسته فلا يحب أن تصرف هؤلاء المؤرخون عن كل ما لا يخدم أهدافهم الأولى التي وضعوها نصب أعينهم حين شرعوا يؤرخون حياة العرب وفهمهم بما يخدم ما حددوا لأنفسهم من أغراض ..

وقد يكون هذا قد أدى إلى سقوط عديد من القصص التي عرفت في العصر الجاهلي وإلى ما قبله، لأنه تراثفتاً خاصاً معروفاً عن روح أمم الجزيرة العربية قبل الإسلام، ولكن هذا أيضاً قد أدى إلى استئثار من أحوال العرب ما قصص إلى كانت تخدم أهداف الممارسين للحياة العربية قبل الإسلام كانت مهيئة بالتحولات والعصبيات التي تصرف بأصولها في نظر الساريج والتي تستند في كثير من الأحيان إلى معتقدات طال العهد بمصدرها الأول وأساسها الحقيقي . وقد وجد الإسلام نفسه في مركز هذا الصراع فكان لا بد له أن يعتمد اعتماداً كبيراً على معرفة كاملة بكل التيارات التي تصطبغ بها الجزيرة العربية وتتموج . وكان لا بد له أيضاً من أن يمس أصول هذه التحولات وجذورها ، ومن هنا كانت لإشارات الكثرة التي جاءت في القرآن إلى أمم ممالقة وأحداث أحدث

مجرها في النسخ السعيد . فممن لاشت منه أن العرب كانوا يعرفون
من أمر هذه الأمم ومن أمر هذه الأحداث ما يجعلهم يتصورون
مادكرة انقرآن عنها في يسر وسهولة .

وحيث جاء لمفسرون اعطروا إلى البحث عن تفسير كامل
هذه الاشارات التي جاءت في القرآن . وهكذا اعطروا إلى اثبات
الكثير مما جاء في التخصيص اجدهلى ..

وحيث عظموا على أن العرب في الجاهلية كانت هم قصص
كثيرة ومتعددة . فقد كانوا مشغولين بالاساطير والحكايات التي
تدور حول أحداثهم وموتهم وفرداتهم وشعرهم . وكتب
الاعلى لأن يشرح الأصناف بكثرة يكون دجيرة كاملة من القصص
التي تنقله الناس عن شعرهم وموتهم . بل إن كتاب
الأنفاني في جذذاته يحتاج إلى دراسة وعيه بأسلوبه وطريقه كتابته .
ولست أعني أسلوبه هنا لميراث المعوية وتركيب الخن فهد
لذلك اسباب واجهه . ووجهه ان التواريخ المعاصرة ونحن مهمل في
تكملة . وربما نرى ساءه قصصه في بعض النسخ . بل إن
أما شرح : سم في كل فصل من قصص كتابه صوره كاملة مجلس
من الحاسن . وكذا يحدده في رعه ودقة كل ما في المشهد من
جرائماته . هو يقرب حلال قصصه . تعني معه يحدده بك . يثبت
حلال اسمر لدى يذكره . المعنى لدى يحدده لتعبر معه التدرج إلى

صاحب القصيدة تشهد حياته كلها بقصتها عليك في دقة لا تفعل
انقاصيل ، وسكها دقة موحدة إن سمح التعبير - فهو يريد
من كل ما يذكر بك أن يرسم حاداً معنانياً حياة شعرة له تسم
في دمهك في صورة وجه إنسان له خصائص وسمات معينة ..

أحسب أن هذا البحث حول الألفاظ لا يؤمنه ، وكل لدى
يعتدناها ، أن الكتاب مليء - القصص حول الشعر - الخاطلين
بما يؤكد أنهم كانوا يعرفون هذا النوع من الأسرار ويساقون به ،
وليس كتاب الألفاظ هو المرجع الوحيد في هذا الشأن إن لم يكن
العربية غنية بألفاظ الألفاظ و"شعر" شعراء ، كتب القصائد
لا بدح محالاً لك في أن الفن القصص هو رسول الحياة الخاطلة
في كل مظاهرها - لا أن ندرسه - نحن ندرسها كل نصيبه
أن ندرسه هذه القصص نراها حادثة - واعتمدها في هذا على أن
كل شيء أن يكتب إنما دومت في القصص - نحن ندرسه بعد
رعباً كبيراً إلى حد ما على القصص حادثة - ونحن ندرسه
شوق صيف في كتابه نحن ومساهمة في هذا الفن

وإذا كنا نتحدث عن القصص مثلنا لصيغة الجامدين .
ومن أجل ذلك كما لا يستطيع أن يعد من لوجه الألفية
بما يروى في هذا العصر من عناصر القصص والبرع ، لأن

الرواة حرفوا نطقه . من اعتد حروفه معناه على نطقه ، ما حرفوا
قصه الرمان . ولو أن العرب كتبوا تاريخهم وقصصهم في العصر
الجاهلي لا اعتدنا بهذا الجنس ثم هم ولكنهم لم يكتبوا شيئاً .

والسؤال الذي أحسك بسببه معي للدكتور شوقي تصف
هو : والشعر العربي أدون في العصر الجاهلي ؟

ومعروف أن الشعر العربي لم يكن في العصر الجاهلي . من
ومعروف أن حكمة التذوين نمت متأخرة ، واعتمدت اعتماداً كبيراً
على الخبط والإيراد . من ومعروف أن هذا هو أحد الأسباب
التي اعتمد عليها الدكتور طه حسين في نظريته عن انحلال الشعر
الجاهلي . . ومع هذا فقد درس الدكتور شوقي صيف بل والدكتور
طه حسين نفسه الشعر الجاهلي . . أسسه تناول الأسلوب واللغة
والزناكيب البلاغية فن أن تناول المصنوع ، والدكتور شوقي هو
بعد صاحب مذهب الصنعة والتصنع والتصنيع في كتابه الفن
ومذاهبه في الشعر العربي .

فالدارسون والمحدثون إذن لم يعتدوا من لوجهه الأدبية بما جاءهم
من قصص جاهلي ولم يعبروه بشراً جاهلياً . وذكروا حجبهم
في ذلك وهي تأخر التذوين . ولكني أحسب أن هناك أسما
أخرى صرقتهم عن دراسة القصص الجاهلي صراحة . ليس منها على

أن حال بعد عصر التنوير وإن احتجوا به فهم كما نعلم قد قنوا
 الشعر الجاهلي دون كبير عناية من هم قد قنوا من أثر الجاهلي الخطأ -
 وجمع الكهان والأمثال، وعبر بداسة هذه الألواح من الإنتاج
 الثاني وراح يخرجون منها أحكاما على أثر الجاهلية دون أن
 يسطروا إلا قليلا أعاد اشك في صحبه . وربما أحسب أن المسألة
 غير هذا ، أحسب أنهم كملوا بفلا عن الدراسات القديمة صورة
 لها بمصر الجاهلي والآداب الجاهلي . تحلوا الحياة الجاهلية مداوة
 وفقرآ ، ورحلة لأنهم في قلب الحيرة ويرى أطرها ، وعناء
 وحشوة . وحبلا بكل شيء مما يعرفه العالم في قديمه وحديثه معا ..
 وتحلوا الآداب الجاهلي صفته القاط . وعنت فارعين يندون
 منها تهم في صنوف الباسة مذهبه التي تحمل من اهتمامهم منتصب
 على واسع القاط إلى حوار أحده في اتساق بمعنى معين . وراحوا
 بعد هذا الذي تصوره حياة الجاهلية وأدبها يحثون عما يرضى
 هذا التصور . وأنت في الشعر الجاهلي أدب جمعه نكاد نسمع
 نفس اللحن يعرفه أكبر من عارف كاهل لا يعرفون . لا الرحلة
 وارقة وحر لاراء . وكهم يحبون على حب حسي أسقم ما فيه
 العاصفة . وبني حسد كره يولد لطحاء للعر . وبني أدبية مفرضة
 تجعل لهم نقص فيما روه من شعر الجاهلية هو العجز ، ثم على
 دلة وصدر برسمان الشعراء دائما ما يده في سبيل العطاء

وليس من محنى في شيء أنك في أمر هذا الشعر ، فقد يكون
صحيحاً أو لا يكون . ولكن الذي يعينها أنه لا يكاد يصور
من حياة أهل الجاهلية ، لا هذه الصورة "بعبئة المصورة" التي أحسب
أنها لا تكاد تمثل — إن مثلت شيئاً — ، لا ما يتجلى لهؤلاء
الدارسون من قديما ومحدثين عن شكل حياة الجاهلية وحقيقتها .
وغير هذا ما نقله القصص التي عرفت عن الجاهليين من صور ،
ففيها قصص بطولية رائعة ، وحكايات حب أسبغية ، وقصص
وفاء وعد ، وصراع في سبيل الخير وفي سبيل الشر جميعاً ، وفيها
علاقات لا تنتهي كل أحسن الأرض الذين عاشوا حول الجزيرة
بطبائعهم وعاداتهم ، وثقافتهم ومعرفتهم

انقص التي حاشا عن الجاهلية لأن ترسم صورة كعاد يكون
محاكاة تماماً لذلك التي أراد الدارسون أن يرسموا ، وتعطى حصاً
وتماماً في حياة الجاهليين أحسب أن الدارسين اكتفوا بسكديته
ونسبه إلى الرواه والباحين حتى لا يشوه الصورة التي اقتنعوا
بها اقتناعاً .

والقصص أيضاً ليست فيها هذه البصه الذهبيه التي أولع بها
أصحاب الدراسات ، فلم تجد فيها هذه العت المفضي الذي يسمى
بالصاعه .. بينما الخطب والأمثال وجمع النكاه — تلك الصور التي

ارتصوه ، فقتلوه بها . فكانت خمس من شيء ، لا هذا العث
اللعننى الذى يبيع ضمير ان تصدوا لو احدث على احد منكم عاهة

ومعروف أن من أساء لغيره .. من الشعر الجاهلى الرغبة
فى معرفة معنى بعض الاطراف ، واحتجوا على معناه وصحتها
معاً ، ودعا فى شعر جاهليين ، ثم قالوا : ومن ساعد شعر
الجاهلى بل ووالد الصير انثى ، فقلوها من حطانه وتجمع مع
السب ، والاهداف ، وأنا أيضاً لا أريد ليجت حبل صحة هذا
شعر ، ونك الصور اثرية . أو سمعت وصفاً يفسر : ط اقرآن أم
هى صحيحة ، ولكن الذى أريد هو أن أثبت أن هذا يعربوا
معيناً ، تصرف لغير أهداف الدينى . كل هو الخور على
جمع هذا الذى جمعه من شعر الجاهليين . وما دام الأصل فى
الجمع ليعربوا ، ولعلنا قد ند أن يكون الأصل فى لسانه كذلك ..
قال رسول الله . والرسول المحدثون كذلك لم يجدوا فى
القصص احدى ص . وما تخيلوا عن حياة جاهليين وسقطوا ..
وهو كذا لم يجدوا فيه ما يفيدهم فى بحثهم عن لصعة وغريب
الانطاف فاكتموا انهم كمال الحجة التى تقول إنه حرف فى لفظه
وفى معناه ، ثم استنطوه .

والرسول قد وصعوا فى قلوبهم وأذهابهم أن العرب فى
الجاهلية كانوا مشعورين ، بيان ودلالة ، ودليلهم على هذا هو

لقرآن الكريم منه ، فانقرآن كعجزة بآية لا بد أنه كان يحاطب
أناسا صناعتهم وهوايتهم **البال** واللاعنة ، وشئت هذا لمعى م
يقبلوا من عند الأئمة الخاضعين لا ما حسن باصعده لللاعنة ، وما
يقف شاهد على رعه العرب الخاضعين لآسيه بل ومعروف
كذلك أن دراسة لأدبية بدأت عند المسلمين على أساس محاولة
تفسير إعمار لقرآن اللاعى .

والواقع اننا لا نستطيع أن نعلم أن شعبا أسره قد وقف
حياته على النهوض بالفاظ والتجويد في صور صياغتها ، وانما نحسب
أن هذا كان عن طبقة معينة من الناس ، كانوا هم المتصدين بحياة
الفكرية والفولية عند العرب ، ونحسب أن اللاعة لقرآن كانت
تقتصر إلى طبقات هؤلاء والراعيهم الخجعة . وهى لا راعهم نفس
بصلاحهم وهى تنصر عليهم بما لا يدع أمامهم مجالا للشك في صحة
الواحى ، وتعد صدور القرآن عن بشر منهم . وهذا لا يعنى
بالأى أن شعبا اخرى كافسا كل كنه صاحب بال ولاعة ،
والأخلاق لقرآن إلا من الضرر لللاعنة ولآسيه . وسكن
لقرآن مصموم ويحوى . ومن هذا المصموم والمحمول استنه
أثره على بقى العرب ان لا يصرون فى اللاعة منهم . وسكن
أثره كذلك على غير العرب من لا يعرفون العربية وما فيها من
صور بيانية .

ولمّا فقد قصر بحثنا عن ما ثبت إيمانهم ببلاده
العرب ومصدقهم حتى يقول الدكتور شوقي صيف في كسبه من
ومداهه في أثره في .

وفي جميع آثارهم من شعر ونثر نجد هذه الرغبة الملحة
في مجال المطلق وحسن التعبير . وما يساق في ذلك من حلا
أسنة وطرفة . . .

وهو قد قال لملاحظ عن حادثين في كتابه أدب والمبين
أهم كاه . يحسون "البيان" و"الطرفة" و"الحسن" والرشاقة .

هذه الروح إذن هي لبنا في الأدب الجاهلي على أنه أدب
صنعة . ومزج لغة . وريال . لاه وصناعه وهذا فقد أعفلوا
بالا ينفعهم في هذا كاه وأعلى القصص . .

إلا أن هذا كله لا يفي أن العرب في العصر الجاهلي كانوا
مرفوف القصص وأن القصص كانت ما كاه آمن أبواب أدبهم ،
وأنها دلالة كبيرة على عقليتهم وحياتهم . وهم قد عرفوا ألواناً
معددة من هذا الفن . عرفوا قصص الأنبياء . وقصص الشعوب ،
وقصص الأمكنة وقصص الملوك والأبطال .

ومن أشهر قصصهم أيام العرب التي تدور حول أوقع احربية
التي وقعت بين القنات كيوم دا حسن والغبراء . ويوم انتجار .
ويوم لكتلات . أو تلك التي درت رحاها يدبهم وبين ما حولهم

من شعرب كيوم دى قار ادى نصر فيه العرب على فارس .
كما كان للعرب أحباريت هوى تنافس و .. وى كقصصه المنسجل
استشكرى والمتجدة . ووجه السعير وما كان بينهما من علاقة نما
ملا الكثير من صفحات لأعلى .

وعرف عرب قصصا تناول بالسير الأسطوري الحياة
والخلق ، فحكوا الحكايات عن نشأة العالم وعن آدم ونسبه وعن
نشأة اللغات ونعدها ، وعن التاريخ العربى كما تحده حتى للإسلام
عما تجده فى كثير من الكتب مثل "تيجان" و "هجر" منه ندى بمتى
المرجع للكثير من الروايات العربيه لى تحت عصره

وأحد العرب القصص أيضاً عن ما حاربهم من أمم إما بقتلا
كاملاً يدكرون فيه أصل القصة ، وإما فيما يشبه ما سميته اليوم
بالافتقاس ، إذ يحورون فى القصة لثلاثم دهمهم ويقتسمو حياتهم .
وقد وصل الكثير من هذا القصص إلى أبهى المراتب
للمحدثين ، لكنهم انصرفوا عنه مرورين وكأنما عن عمد ، وسكنى
أن أسوق هنا ما قرره لأستاذ أحمد أمين فى كتابه "خبر الإسلام
فى حديثه عن أيام العرب يقول .

• ترى هذه الأيام وأحبارها بمجموعة فى العقد الفريد ، وأمثال
الميداني ، وقد راد لتفاصيل فى بعضها وشوهوا بعض حقائقها ،
كأدى رءى فى أحبارهم التى حكوها فى موب الرداء ، إذ قالت بين

ما قصوه وما ذكره ثقات المؤرخين عن روياء خبر الزمان
لمروى في الكتب العربية عن هشام بن محمد الكلبي ، روايه حiale
موصوعة لاتفق والتاريخ ، ولست بدى هل أفسدها لعرب في
نجاهيتهم ، أو أفسدها رواه الأدب في الإسلام .

هذا الذى أسوقه هنا من كلام الاستاد أحمد أمين يوضح
الروح لى نظرها لدارسون المحدثون إلى هذه الآثار ، ونشأه
مع الاستاد أحمد أمين فى النظرة إلى هذه القصة الدكتور شوقى
صيف الذى يقول عنها إنها ، لاتفق فى شىء وحقق التاريخ
الرومانى الصحيحة التى كسبت عن روياء . .

ولم يتم الاستادان بهذه القصة إلا من ناحية صدقها لتاريخي
رغم ما يمكن أن تعطى هذه القصة من دلالة واضحة على وجود
التأليف القصصى لدى يسمد مادته من التاريخ ، والواقع أنه ليس
مطلوباً من كاتبى القصة مرعاة التاريخ والمقل الحرق . . وربما لو
قامت دراسة على احترام نص بن محمد الكلبي وغيره واعتبار أعمالهم
لونا من الإنتاج القصى . ومحاولة المقارنة بين ما قصوه
وبين ما تحكيه الوثائق لتاريخه لإستنباط عملهم القصى واسلوبهم
لقصى ، والروايا التى وقعوا عندها لأمكن أن تكون هذه
الدراسة أساساً لتكوين فكرة عامة عن الفن القصصى فى العصر
الجاهلي .

أما النظر إلى هذه الأعمال وغيرها ، من وإلى غاية ما جاءنا
من قصص جاهلي على اعتبار أنه إمداد من العرب لحقائق التاريخ
فهذا معناه إخراج كل هذه الأعمال من الأدب ، من ومعناه
يستقط لإنتاج القصص مرقى بكل ما فيه من قيم ودلالات .
وذا من الأدب ليس من مهمته في شيء بحث صدق لقصة
لتاريخي فقد ما يدخل في مهمته بحث أداها الفنية وشكلها الشعيري
وقالها لروائي ..

والأصل في هذا كله يعود إلى النظر إلى الكتب التي حملت
إليها هذه القصص كالآتي والمقدّم الفريد والأدلى وغيرها على
اعتبار أنها كتب تاريخ تروى الحقائق المخرّدة ، ويعتمد عليها في
هذه الناحية وحدها . رغم أنها في حقيقة أمرها لا تخرج عن
أعمال تجميعية لبعض قصص لمقرون عن العرب ، فهي إلى الآن
أقرب مما إلى التاريخ وأما

من لقد ذهب كثيرون من المدرسين إلى أن كل هذه الروايات
كاذبة ولم نقس على الجاهليين لأنهم لم يكونوا يعرفون الكتابة .
ولو فتح أن هذه نتيجة مبدئية في مقدمه خاصته فإن نصوص
الكثيرة التي وصفت إليّ تدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة ،
وأهم كانوا أيضاً سعة ملوحي في تدوين الآثار الأدبية وليس

وليس معنى عدم وصول النصوص المكتوبة إلينا أنهم يجهلون
الكسبة ولا يعرفونها ، وربما قد تكون معناه أن كتبهم ضاعت
في عصور متأخرة ، أو أضيت وأهمل شأنها .

من المعروف أن المعتقد السبع كانت تدون وتغوى على استار
الكعبة ، كما يروى أبو المرح في كتابه الأغانى أنه كان في الحيرة
(كتاب) يعزبه صفة الكتابة . كما يروى الطبرى عن هشام بن
محمد الكلبي أنه رأى في بيع الحيرة بعض مدونات استخرج منها
أخبار العرب .

وصفحة ٢٠٨ من الجزء الأول من السيرة النبوية يقول ابن إسحق :
في حديثه عن بدء فرس نكبة ، ومحدث أن قریشا وحدوا
في الزكر كتنا بالسرياسة ، فم يدروا ما هو حتى قرأها لهم رجل
من يهود وأدا هو . أ ، الله ذو كمة . خلقتها يوم خلقت السموات
والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك
حشاه . لا ترون حتى ترون أحشاه ، مبارك لأهلها في السماء
والأرض .

وقال ابن إسحق : : وحدثت أنهم وحدوا في المقام كتنا فيه :
مكة بيت الله الحرام ، يأبهاررقها من ثلاثة سن ، لا يجلها أو
من أهلها .

وقال ابن الحنفى . . . وروى عنه ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً
 في الكعبة قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، إن
 كان ما ذكر حقاً ، مكتوباً فيه : من رزح حيراً يحصد عيشة ، ومن
 يزرع شراً يحصد دامة ، يعملون السدات ، وتجرور الحسرات
 أجل كما لا يحتق من اشوك العنب . .

وود جاء لإسلام وفي مكة سبعة عشر كلاً وفي مدة أحد
 عشر ، ويقول الجاحظ في كتابه الحيوان : إن العرب كانوا يكتبون
 بعض عهدهم السياسة وكانوا يسمون تلك العهد المكشورة
 (المهاري) . . وقد ورد في كثير من نصوص الشعر الجاهلي ما يفيد
 معرفة العرب للكتابة والتدوين . . وود : كراميداني في مقدمة
 كتابه (مجمع الأمثال) إنه رجع في تأليفه إلى ما روى علي بن حمزة
 كتاباً . . بل إن وهد بن منبه روى في صدر كتابه التيجان في
 ملوك حمير أنه قرأ ثلاثه وتسعين كتاباً مما أُرسل الله على الأنبياء
 فوجدت فيها أن لكسب التي أُرسل الله على جميع النبيين مائة كتاب
 وثلاثة وستون كتاباً . .

فالكتابة والتدوين إذن لم يكونا مجهولين عند العرب في العصر
 الجاهلي ، وليس صحيحاً أن الذين دونوا أخبار الجاهليين في العصر
 العباسي قد اعتمدوا على ما حفظه الرواة وما تناقلوه ، إذ من

معقولا على الإطلاق وقد جاء الإسلام بحسب كل ما قبله أن يطل
الرواة على ترديدهم لثلاث العصر الخاهلي في حط وانقار ، وإنما
المعقول أن أصح كتب تاريخ الأدب التي دوت في عصر عباسي
استعنوا بهذه الكتب بمسانره كأيدياني مثلا وإما عن طريق
الرواه اندين حتمظرا عندهم بالمراجع للأدب الجاهلي يرجعون
إليها ويروون منها كشمس بن محمد الكلبي مثلا..

وابن الفديم صاحب الفهرست يروى أن محمد بن عبدوس
الجهمشيري صاحب كتاب الورراء قد ابتدأ تأليف كتاب اسمه
ألف سمر من أسفار العرب والعجم ولزوم وغيرهم فأحصر
المسامير وأحد عنهم ما يعطون كما حصار من الكتب المصنفة
في الأسفار والخرافات ما يشاء .

فالسكت إذن كانت موجودة ومعروفة وليس من داع في أن
تكتب كل من يذكر أن العرب في الجاهلية كانوا يعرفون الكتابة
وأنهم دونوا آثارهم كتابه وأنها بلغت إليهم عن هذا الطريق إلى
حوار طريق الرواية والخط .. ليس من داع لهذا لأنه التفسير
الصحيح لنقل إليهم من ثلث قصص كبير فقد يكون من المعقول
أن ينقل الراوي قصيدة شعر ، أما أحداث تاريخ وحكاية حياة
فهذه تحتاج إلى تدوين في قلمي .

ودليل أحير نسوقه وهو أن حرة من معجزة القرآن البلاغية

يعود إلى قوله على أي لا يعرف القراءة والكتابة ، فكان
صعبة **البلاغة** يعرفها لقوم القدرثون ، وكان السكينة كانت شائعة
وسط أصحاب البيان العرب . وكما أن محمدا كان أمياً فصروري إذن
أن يكون حديث من يقرأون ويكتبون . وصروري إذن أن تكون
لقراءة والكتابة شائعة بحيث بلغت ، لا يظن أن يحمل أي مثل
هذه ارسائه التي تعتمد على السلاعة والبيان وتأني بالمعجز من القول .

وقد دعى الدارسين إلى لشك في وجود الكتاب ، أنه لم يذكر
اسم كتاب جاهلي لمؤلف بعينه ، ولكن أحسب أن وجود الكتاب
شيء ووجود التأليف لمصنوع شيء آخر ، ومن يدري لعلمهم أيضاً
عرفوا التأليف والتصنيف ، ومادما يحيط في يداه هديها الوحيد
هو الاستنتاج فليس له أن يقطع بشيء وسكن عليها فقط أن يوائم
بين مختلف المروص ومن ماضو أقرب إلى طبائع الأشياء . .

الأقرب إلى طبائع الأشياء أن عصر العباسي لم يدون كل هذا
الراث الجاهلي من **بداكرة** فقط ولكنه لا بد قد عتمد على
أصول مكتوبة ، وما دام لدينا تحت أيدينا على معرفة العرب في
جاهليهم باسكتانه . فليس ما يجمع من أن يكونوا دونوا قصصهم
كما دونوا معتقاتهم في صحف وصلت عن طريق حوارث إلى الرواة
الذين نقلوها إلى العباسيين فأحدوا منها . وهذا لا يجمع بحال أهم
أصاها أو رواها ، ولكنه يؤكد أن رفض كل التراث القصصى

الجاهلي لمجرد أنه دون في مصفات متأخرة زمناً خط يحتاج إلى
مراجعة . ويؤكد أيضاً أن الاعتماد فقط على الخطب وجمع
الكهات والصور المليئة بالأشكال اليبابية وحدها تعسف يفسد
صورة الأدب الجاهلي كله . . وليس ممتنع مادامنا قد ارتضينا بعضا
من إنتاج عصر أن نرى عبره وخاصة والمصنف الذي يقلعها
إليها واحد . . أما أن نقل بعضه لأنه يلائم الصورة التي رسمناها
في أذهاننا للأدب الجاهلي ورفض بعضه لأنه يرسم صورة أخرى
أكثر إشراقاً وحيوية وأقل صفة وتكلفاً فهذا ما لا نستطيع أن
نفهمه على الإطلاق . .

والحياة الجاهلية تعد مبنية بالشواهد على وجود قصة وأهميتها
في حياتهم وأدبهم . . وأحسب أننا سنحاول أن نضع أيدينا على
بعض الشواهد الأخرى التي لم يوردها حتى الآن وإن كانت أكثر
دلالة وأصدق لإثبات فيما يلي من فصول .

الشعر والنثر في الجاهلية

لخص الأستاذ الدكتور طه حسين كتابه (في الأدب الجاهلي) في جملة واحدة اختتم بها الكتاب فقال :

« نحن نسير إلى الأدب الجاهلي كما ينظر لمؤرخ إلى ما قبل التاريخ ويبحث بديسه الوسايق التي تنحدر لدرس ما قبل التاريخ . فأما تاريخ الأدب حقاً ، التاريخ الذي يمكن أن يدرس في ثقة واطمئنان ، وعلى أرض شتاة لا تضطرب ولا تروى فإنما يبتدىء بالقرآن . »

والدكتور طه حسين إنما أراد بهذا أن يرفض كل ما أورده المؤرخون القدماء من بصوغ الأدب الجاهلي سواء في هذا شعره ونثره . بل لعله عني ببعض الشعر غلبه كبره جعلت حديثه عن النثر تذكر أرباباً قالوا في أمم الشعر دون ريبه . فالعرب عنده لم يجهلوا برواية الشعر ، بل يختصوا بها بل يصرقونها طائعين أو كارهين ، ولم يراجعوها إلا بعد فترة من الدهر وبعد أن عدت النسيان والرومان بما كان قد حفظ من شعر العرب في عبر كتبه ولا تدوين ، وهو إذ يطبق هذا المذهب على تراجم هليلج يعزى لعصر الجاهلي تماماً من كل ما يمت إلى أصل لغوي بصلته ، ويبدأ من عند تقرآن بداية الوثائق لمطمئن قائلًا . وليس أعشى على هذا التقرآن من هذا النوع من هذا

الشك والهدم أساساً . ونحن نخاف أشد الخلاف أولئك الذين
يعتقدون أن القرآن في حاجة إلى الشعر الجاهلي لتصح عربيته
وتثبت أغماطه . نحن نعلم في ذلك أشد الخلاف لأن أحداً لم ينكر
عربية التي فيها معروف . وذلك أحد لم ينكر أن العرب قد فهموا
القرآن حين سمعوه تنلى عليه آياته . ويدل على أن أحداً من الذين
عربوا وإدلهما ينكر أحداً أن العرب قد فهموا القرآن حين سمعوه
فأى حروف على عربية القرآن من أن ينطق هذا الشعر الجاهلي
وهذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين .

وإذا كانت هذه النظرية التي ساقها مكتوبه حسنة قد وثقت
في هدم الشعر الجاهلي هتماً كاملاً . يدعى ما نقلته كتب المؤرخين
من شعرهم موسع أكثر من الشعر الجاهلي . ومن بدأوا
بأخبارهم . ينكر من أحسن وأجود ما نقله . ولا أب ما عذب
في الفصاحات على الأهل . من الجاهليين . فمنه . ومن احتاج
للمعبر من الأهل . من القرآن في الاستشهاد بالشعر العربي وحرص
على روايته فهم لم ينكروا هذه أحسن حجة . ونحن هذا الشعر
الذي شاءوا أن يدعوا أنه فهمه . فقد ينكره حسنة حين
طبق عليه طريقة الأهل . فصافوا . ومنه . كثير . كما رأيت
فإنه لن ينكروا . كشف على أثر الجاهليين . لا ما يدعى من حفظ سقيمة
وبمجموعه مما أسموه بسجع الجاهليين .

ومن هذه القصص بدأت بدأ ، فمر آن واعتبر كل الدراسات
 نص ثنت لاشك فيه ، وحتى الباحث الذي شئت في كل شيء لم يشأ
 أن يسحب شكك هذا على القرآن فاعرف به نصاً صحيحاً عرياً
 لا تقره معاول الهدم بحال والقرآن همد وما يمن من ثروة
 فكرية وبلاغية وفيه صحة هائلة يهدم كل محاولة هدم لأدب
 الجاهلي هدماً كاملاً ، وإلا فكيف يمكن أن يعتبر القرآن بداية
 أدبية لامة من الأمم .. كيف يمكن أن يستقيم مع العقل والمنطق
 بل ومع طبائع لأشياء أن يظهر هذا الكتاب جأة متكاملة فيا
 وفكرياً دون أن تكون له جذور يقوم عليها ويستمد منها قوته
 وتأثيره ..

كيف أحسن العرب بقيمة القرآن وهو — إذا صح افتراض
 لدراسين — بداية لا أصل لها عندهم ، ولا شاهد يسبقه ويعرّوه
 القصور يشير بقصوره إلى كمال القرآن وأهميته .

التصعي والمنطقي كذلك أن العرب عرفوا من صور التعبير
 الأدبي ما جعل القرآن أيقاً إليهم وصحاً عندهم . ثم دليلاً بلاغياً
 صحباً على الوحي والرسالة .

ولسا هذا يريد أن يناقش نظرية الالتحاق فهي ليست من
 موضوعاتي شيء ، ولكننا في واقع الأمر يريد أن يناقش قضية

أعشق وأحضر وأكثر ثونا في أهل حمزة المدارس ، وهي أن
القرآن بداية وما بعده ليس بشيء

وقد حلت المدارس من هذا الخرج عند ما قالوا : ليس
القرآن شعرا وليس نثرا وإنما هو قرآن متبعين في هذا لما قال
صاحب أخبار القرآن وعبد عصره العباسيين .

فكأنهم أرادوا أن يقولوا : إن القرآن ليس ولد بطور
في عرفه العرب وإنما هو شيء في يد حديد عظام . وهذا صحيح
من الوجه الديني . ولكنه لا يهتد دليل على شيء من بوحية
الهيئة فإذا سلمنا أن القرآن صورة تعبدية حديدية يكتب مثلها
العرب قبله فلا نستطيع بحال أن نسلط بانه كان بعيدا عن نفسه
وتدقيقه . ولا كيف يمكن تدقيقهم له ذلك له وفي له جوده
معجزة قائمة بذاتها .

نظي في أن العرب عرفوا من ألوان النعيم التي ما جعلهم
يستطيعون تدوين لائحة القرآن وإنما كقسمه وقعه إلى القدر
الذي أحاط به . والطبيعي أيضا أن العرب لم يوقف حركة
الاسماح التي بحث يستطيع أن يسمى العصر الحضري عصر ما قبل
القرآن ، يسمى العصر لاسلامى عصر ما بعد القرآن من لاند

أن الحياة طالت سائره وأن أدواق الناس أصبحت تشبور بدرجتي
 ولكنهما لم تحقق من حديد حلقا ، وقد كان السلام في كنهه
 طمقات الشعراء منطويا مع نكهة حسا صم شعراء عصر صدر
 الاسلام إلى شعراء العصر الجاهلي عليه أصبعه ، جاذبيه على شعرهم .
 ولم يظهر — بكل أسف — الله من يعمل فعل السلام في الشعر .
 ولعل هذا يرجع إلى حد كبير إلى أن صورة البشر التي كانت أمام
 الدارسين عن العصر الإسلامي كانت تختلف في حقيقتها كل الاختلاف
 عما تخيلوه من صورة له في العصر الجاهلي فالخاطب بقول في
 (اليان والتبيين) . «لم يسمع الناس بكلامه قط أعظم نفعاً ولا أصدق
 لفظاً ولا أعذل ورماً ولا أحسن مديحاً ولا أكرم مطلق ولا أحسن
 موقفاً ولا أسهل محرراً ولا أفصح عن معناه . ولا أس عن نحوه
 من كلامه صلى الله عليه وسلم .» فالصورة التي يطمحها لدارسون
 للبشر بعد انقراض صورة مشرفة تدل على عناية المعنى وإيمانه عن
 قصد وليست كلاماً مروضاً فيه عت لفظي كذلك الذي يقاوه
 عن العصر الجاهلي ولا يمكن أن تم هذا التعبير من يوم وليلة
 وإعما الطبيعي أنه تم على مراحل وأنه على أي حال مداد لتراث
 سبقه وأسهم في تطوره ووضع بذيقه الأولى . والسؤال هو : أين
 هذا التراث إذن ؟

القرآن عليه يحمينا على هذا السؤال ..

يقول ابن هشام في السيرة إن الوليد بن المغيرة وهو من أن
حضور الإسلام قال عن القرآن : « الله قد سمعت من محمد كلاما
ما هو من كلام لأبس وخن ، وإن له حلاوة ، وإن عليه لطلاوة
وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمعدى ،

فلمستنه من الوحيه انفيه كاست معركة بلاعية من القرآن وبين
صور التعبير المختلفة التي عرفها العرب ، انتهت بانتصار القرآن انتصارا
انتزع من عدوه هذا الاعتراف بالعلية الساحقة .

فما هو كلام الأبس وما هو كلام الخن ؟ ..

أما كلام الخن فنقصود به سجع السكبان إذ يقول الجاحظ
في أسيان والتبيين إن العرب في الجاهلية كل يوم طائفة تدعى للسكبان
وإن تطمع على العيب وكل كل كاهن منها برعم أنه سحر له (رقى)
من الحسن يسترق به السمع فمعرفة عن طرقة ما كتبت للناس في
الوارج العد ، وقد عرفهم سطيح الدني وشوق مصعب الأعدى
وسامة الخراعي وغيرهم من محد حديثا عنهم في الأعدى كأنه
من سجعهم وإعرابهم .

وقد اكتفى القرآن بالنصاء على عشته بما أورده من صور
للاغية رائعة جعلت ما يأتون به صحلا بهتا يقف عاجزا أمام

روعة بلاغة القرآن وسبكه كما هي الرسول عن سجع الكهان كما
جاء في الجمل "قرآن للقلوب" وأوقع اث بحس أن هذا النوع من
الكتابة إنما كان يقصد به التأثير على عقول السذج من الناس ،
واقاعهم وراء طنططه الألفاظ وعرائنها وما يعطى لها السجع من
موسيقى - مصحة ما يدحس به هؤلاء الكهان . وقد كان يكتفى أن يؤمن
الناس بدين صحيح وأن ترفع من على أعينهم غشاوه الجهل والكفر
ليسقط الكهان ويجمعهم من كل حساب .

أما كلام الألس وحس يعرفه شعرا وثرأ .

وزعم أن القرآن وهو مخصوص معركة البلاغة مع العرب لم
يرعه أمر الشعراء في شيء ، فقد اكتفى بأن وصمهم بأهم العاؤون ،
ولم يحتج إلى جهد كبير ليصرف الناس عنهم ، وما هو إلا أمر أبقى
فنهى . وربما كان الأمر أن لشعراء يمثلون طبقة معينة من التفكير
والتألى قطعا معينة من المجتمع ، جاء الإسلام ليقتضى على حرورته
وسطوته . وعلى ما امتنع به من حقوق موروثه جعلته يستبد
بالحياة والناس جميعا . فالشعراء كانوا يتكسبون من مدح المترومين
من أبناء الجزيرة وقد جاء الإسلام ليدوى بين أسس هذا سرق
الشعر وأصبح تحته حاضرة في عصر يبدى بالتساواة وحرف
جهد ساس وقد انهم إلى نشر الدين والدفاع عن قصيد الحق . .
وربما كان الأمر أن لشعر كانت له مواضع وجلساته ولم يكن هو

الحدث المتداول اليومي في شكل حصص على الحديث الجديد .
 بل ربما كان الأمر أن الشعر كان يحسن فيما . نفة من ثمر وعصية
 وإثارة للشروفساد، ومباداة بأحساب وأنساب كان يريد الاسلام
 أن يقضي عليها ، وكان يسكني أن يحسن في قلوب الناس السلام
 لينتعدوا واحدهم عن دعوى الحق والنعصه وانعصب ، وربما كان
 الأمر أن مقررده الاسلام في أمر الشعراء كان المجتمع العربي نفسه
 قد مرع من تقريره باعص كان الأمر هذا كله أو غيره ، إلا
 أن لدى لا شك فيه أن القرآن وهو لمعمره سلاعية لأوى
 لم يقارع الشعر ولم يحسب له حسابا .

بقي أمر النثر ، ورغم أن المعركة البلاعية حقيقية انني حاصها
 لقرآن إنما كانت صدائثر . والسبب أعني ما أثر هنا هـ الخطب
 المنتثرة في بعض الكتب مثل نظري والأعاني ولعقد انريد
 والأمالى كمداح من خطب الجاهلية ، وإنما أعني نوع من النثر
 حمل بالمصمون ولشكل معا ، نوعا خطرا ملاء قنوت الناس
 وعقوبه ، نوع ممتد تأثيره لا على فئة أصحاب السلاعية المروقين
 لمريين وحدهم ، وإنما بعد أثره يمد في كل فئات الناس تنقلوه
 وينساقونه في إغاثات حقيقي وإيمان كبير . هذا النوع خطره ليس
 في لفظه وإنما خطره في مصمونه ، فالقرآن ككتب دس لم تحكم
 من مهمته أن يتمرق عن أصحاب ابلاعية في ميدانهم وحسب ، وإنما

كانت مهمته أن يتعمق في قلوب الناس وعقولهم ليحمي لهم
مفهوماته الجديدة يدحجها إلى نفوسهم فكان مفهومات أخرى خاطئة
احتلت هذه النفوس رحمتنا .

حامد الإسلام ليقاوم عتات فاسدة ، واقبوم مدي فاسدة ،
وليقاوم مثلاً للعبة فاسدة وهذه العتات والمادي والمثل إنما
تتمثل في تراث كبير يمثل عقول الناس وقلوبهم فكان على الإسلام
أن يبرع هذه العقائد رء . وأن يربطها ببحر محلها ما يشاء .. فكيف
حارب القرآن هذه العقائد والمثل الخاطئة لقد جاء بقرآن إلى
القصص يستخرج منها العبر ويصم بها المثل ويشرح بها
الخير والشر ..

ولحمو القرآن إلى لفصوص دليل واضح على أنه كان يعرف
أسها الطريق الذي يذهب إلى عقول الناس وقلوبهم ، فليس معقولا
أن يحطب الكتاب الكريم الدرس أداة جديدة عليهم وأساليب
م معهود من قبل . من الطبيعي أن القرآن الكريم في عهده نحو
القصص إنما كان يسد حاجة قبة عبد العرب ، ونحن نرى بعد أن نحن
من قديم لديهم قارعه نفس سلاحه واستمر عليه ، وقد قيل لبعض
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ما كنتم تتحدثون به من
حلوتم أن يحاكم ؟ قال كنا نتأشد الشعر ، ونحدث أحبار
حاجتنا ، وأحبا الحادية أدن كات شدا غير الشعر ، فأمر هذه
الأحبار ؟

يقول المفسد في كتابه (الوشي المرقوم) : « لم يصل إلى
أحد حرم أحد العرب والعجم إلا من العرب ، وذلك لأن من
سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب ،
وكاوا يدخلون البلاد لتجارات فيعرفون أخبار الناس . وكذلك
من سكن الحيرة وحاور الأعاجم علم أخبارهم وأيام حمير وسيرها
في البلاد . وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني إسرائيل
وليونان ، ومن وقع بالحرب وعلم فقه أنت أخبار السند
وفارس ، ومن سكن اليمن علم أخبار الأمم جميعا لأنه كان في ظل
ملوك السيادة »

هذه أخبار الجاهلية ادن ، لا يقتصر أمرها على أحداث
الجزيرة وتاريخها ، وإنما تمتد لتشمل ما حولها من ثقافات تؤثر في
عقلية العربي ويحفظها في قلبه . وهو بأحد مهاكلها ما يستحق
الرواية ، أي ما يستهوي ويستهيئ غيره ، وتنتقل هذه لأخبار بين
العرب تروى في مجالسهم ويسامرون بها .

أكد أرفع أن هذا اللون النثري هو الذي عرف القرآن خطره
على العقول والقلوب معا فشاء أن يقضي عليه بما قص من قصص .
ويؤكد هذا ما يرويه ابن هشام من « أن القصص من الخرافات كان
من شياطين فرس ، ومن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويُنصب له العداوة، وكان قد قسم خيروه وتخل بها أحداث ملوك
 الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان يد جسس رسوب
 الله صلى الله عليه وسلم بحلافه كمر الله وحيدر قومه ما أصاب من
 قبلهم من الأمر من بقعة لله، حلقه في بحسه، قد قام، ثم قال: أما
 والله بامعشر قريش أحسن حديث منه، فلهي، فبالحكم أحسن
 من حديثه... ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار،
 ثم يقول: قد محمد أحسن حديث مني؟ ويقول ابن هشام:
 وهو الذي قال فيها بلعي - رن مثل ما أزل الله.

فالمسألة من كانت شبه معركة تعتمد على القصة كقصة يستهوي
 الناس، وهو في الوقت نفسه يترك أثره لا يمحى في انصر ادبنا
 مضمونة بشكل غير واضح ولا مباشر - واستدلال اندي يتبادر إلى
 الذهن هو، هل هذه القصص التي ذكرها القرآن الكريم حبيده
 كل الجدة على العرب، أم أن فيها شائت إلى قصص سبق أن
 عرفوا بأمرها وثقوها وحملت هم من الدلالات ما شاء القرآن
 أن يمحوه ويحج بحه دلالات أخرى؟

الآثار أو العتق والمضيق إن هذه القصص كل يعرفها العرب،
 فهم قد عرفوا ولا شك قصة موسى وقومه وقصة عيسى وقومه من
 هؤلاء الذين نصرروا منها وهادوا - وهم لاشك أيضا قد عرفوا قصة

أراهم عليه السلام قد ساقوه حبلا بعد حبل وبذلك الشاهد الخالد
القديم في أرواحهم وأعني به الكعبة الشريفة .

وقصص القرآن مما روي لا سحراح العرة والعطاة ، ولم
يقصد منها التزيين . فهي والحالة هذه تريد أن تستعين القس
القصص في إملأ مثل غيرها . . . وفرب إلى المطلق أن القصص
المستعملة في هذه الحجة ليست جديدة على العرب وإنما هم قد ألفوا
أصحاب الأسماء التي وردت فيها ، وألفوا الأمكنة التي جاء ذكرها
وألفوا الأقوال التي استعملها القرآن .

والقرآن حكى عن أم سائلة كعاد وثمود ، وحكى عن الأنبياء
كعيسى وعيسى ويوح وهود ، وحكى عن مدن طعت حين احتل
ظامها لاجتماعي فسدت وهلك ، وحكى عن أمكنة لها دورها
في تاريخ البشرية ، وهذا معناه أن العرب كانوا يعرفون قصص
الأمم السابقة وقصص الأنبياء وقصص المدن وقصص الأمكنة .

بل إن في قصص القرآن ما جاء على السنة الحيوان ومن ذلك
قوله تعالى . . . حتى إذا أنزل على وادي الملح ، قالت نمل يا أيها
الإنس ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون .
فتسم صرعا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلي رحتك

في عبدك الصالحين ، وليس عرنا ان . . في القصص المروية
لتفسير بعض أمثال العرب حكايات على السنة الحرة ، وقد
يكونون قد عرفوها عن طريق صلواتهم ببلاد الهند وفرنسا وقد
يكونون قد عرفوها من رثمتهم ، وإني أتق ستعرفها آلا لها
يدين على أنهم عرفوها على أية حال . .

ومن المعروف أن مصاعب كانوا يجلسون في الناس المسجونين
أيام الخلفاء ارشد بن يحيى كركم لهم أحاديث الأمم الأخرى
والاساطير وبحودك . ويذهب الأستاذ د احمد أمين في كتابه تاريخ
الإسلام إلى أن هذه القصص قد استحدثت في صدر الإسلام
ويقول . روى عن ابن شهاب أن أول من قص في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم تميم بن زيد أسأدن عمر أن يذكر لرسول
فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأتى له أن يذكر الناس في يوم
الجمعة قبل أن يخرج عمر . فاستأذن تميم عثمان بن عفان فأتى له
أن يذكر يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك . وفي رواية أخرى عن
الحسن أنه سئل متى يحدث القصص ؟ قال في خلافة عثمان فسئل .
ومن أول من قص ؟ قال . تميم بن زيد .

ولو اوقع نوح هذه الصادرة في صدر الإسلام إنما يعنى
أنها امتداد وبست شيئا حديثا على الأخلاق لإبنا سأل . وماذا

كان هؤلاء يقصون ، الذي لاشك فيه انه كانوا يحكون شيئا قديما تعود الناس أن سمعوه منهم ، ولو أنهم لاشك أيضا قديما أو يقومون ، اختيار ما يحسم الدعوى جديدة ويؤكد رسالتها ولم يكونوا يقصون شيئا جديدا كل الجدة . ودليل هذا ما يدكره عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه استمع من نعيم هذا إلى قصة الجسامة والدحال .

والعرب ان ما بي لديه في كتب المؤرخين مما كان يرويه تميم يكاد لا يكون شيئا على الاطلاق ، وهكذا يقف تميم هذا دليلا على وجود القصة ، ويقف جميع ما كان يرويه دليلا على صياغ قصص العرب التي كانوا يعرفون ، ويقصون .

ومعروف أن هناك مسمعا كبيرا من ههنا تقدم المنافع الإسلامية في القصة ، اعني بهما وهب من منه وكعب الأحبار وكعب الأحبار أسلم في خلافة أو حكم أو عمر وقد أخذ عن ابن عباس وأبي هريرة . وروى له الثعلبي والكناني الكثير من القصص ولم يكن كعب الأحبار هذا محل حجة فيما يتعلق بالإسلاميات وإنما كان بلا شك حجة فيما عرفت العرب من قصص وشأنه في هذا شأن وهب من منه أسى ذكرته لك من قبل والذي وثق في صنعاء في عام ١١٠ هـ وهو صاحب كتاب هم هو الشيخ أحمد

المسح المدور الأول لما عرف العرب من اساطير حول نشأة
الكون وقصص مبدأ العالم وظهور اللغات ونشأة لغة العربية ؛
قصصها عتيق في أسلوب أقن ما يوصف به انه أسلوب قصصى
والسكتاب محب يديب وأحب مني سأحدثك عنه هذ حديثنا
مفصلاً لما له من أهمية خاصة في موضوعنا . .



فالعصص إذن كل معروف ما في صدر لإسلام . وقصاص صدر
الإسلام يعرفهم ويعرف اسماءهم . ومهم من صاعت قصصه مع ما
صاع ، ومهم من بقيت بعض أعماقه كوهب منيه . ومهم من
تناثرت أحصاءه بين الكتب وعلى السنة الرواة ككعب لأخبار . .
والقرآن كما قلنا هو سيد الأدلة . فإدام القرآن قد استعمل
لقصصه وعظم عديده . كما أن من استأنه في صدر الإسلام
عرف العرب قصصا من وادوا عنهم ولا شك أدرك أن الخديين
كان لهم تراث كبير عظم من هذا القصص . . وكما سطرعا من مع
موضوعات له أن أن يعرف موضوعات . . من العرب ويستطيع
كذلك أن يتطرق بطرق . . في قصص القرآن من احية اسرد
والقرآن يحا إلى أسلوب تصويري في قصصه . .

صدر حدث ويحمله ويدفع فيه ، حياه . وهو برسم لمساكن
ويصوره وشركه في حدث . وهو يدعى عن بساطته أن أسلوب

القصة العربية كان يعرف التصوير والتحديد وبلغاً إليهم .

وقد لحق القرآن إلى الحوار تحرره على لسان شحوص قصصه يتجادون ويناقشون . بل لقد حأ إلى أسلوب الحوار في خطابه لشركيين وتردد منه كلمة (قالوا) كثيراً . كما تتردد كلمة (قن) للرد على أقوال المشركين . وهذا بالتالي يعنى أن العرب قد عرفوا هذا الأسلوب — أسلوب الحوار — فيما رواه من قصص وما عرفوا من أساطير وحكايات .

الشاهد الذي اعتمدنا عليه في هذا الفصل من بحثنا هو أنقر السكريم وقد وقف الدارسون المعاصرون والقدماء معاً كما قب في مستهل كلامنا عنه مسلمين بصحته ، وسكهم لم يشأوا أن يأخذوا منه الدلالة الفنية لقوبه إلى شبر ، شاره واضحه إلى هذا اللون من البث الذي لا شك أن العرب عرفوه مد عرفوا التعبير بالهجة ، وليسوا أقل في هذا من غيرهم من الأمم . والعرب كانوا يعرفون الدين قبل الاسلام ، ولسكه كان ديناً وثيقاً ، والدين الوثني لا بد أن يرتبط كما تقرر تواريخ الأديان بمجموعه من الأساطير تتعلق بالوثن المعبود ، كما لا بد أن يسطر بمجموعه أخرى من الأساطير تتعلق بالطقوس التي يلبعونها في العبادة لتتقرب إلى أوثانهم وهما ملات الخربة العربية بالآوثان والأصنام من كل نوع ومن كل صنف .

لقد متلأب الكلمة نفسها بكثير من الأصنام لكل منها
اسم ودلالة . وقد ارتبط العرب بطقوس معينة تعلعت حتى
أصبحت حراماً من حياتهم ، فعموا في رحمتهم حجراً بعدوه
ما بعدوا عن صنمهم الأصلي ، بل لقد تقربوا بكل أصنامهم
وأحجارهم إلى الله بصلواتهم وطريق ربه . . وعرفوا التشاؤم
والتشاؤم وعدت حوته حركات ونصرفات أشبه بالطقوس . ولست
أحسب أن كل هذا ألقي إليهم إلقاءً فخطوه ورددوه وآمنوا به
حصد عشواء . ويري أحسب أنه تعدل إلى قلوبهم عن طريق
الأساطير ، وأحسب أنه ارتبط في نفوسهم بأفعال معينة وطقوس
ذاتها عن طريق الأساطير . وأحسب آخر الأمر أن القرآن حاول
بحر كل هذه الأساطير بحراً كاملاً . وحاول بما أورد من قصص أن
يسمى هذا الفن الذي أومع به في سبين دداينهم لاصلاهم ،
ورشدتهم لأعظم . هـد سقيم لأمر ولا يلتوى على أحد .

والواقع أني لا أريد أن أعم أنه كانت هناك قصص وحسب ،
بل أريد أن أحس من هذا الرعم من قصصية أكثر بأن أؤكد أن
هذه القصص كانت ، لمكان الأول من الحياة الأدبية ، وأنها كانت
الفن المفضل عند لغابيه حصى . بها حطت أقلية خاصة بأمر الشعر
وخصه . وربما غيره مسمون بعدد من حرافات الجاهلية
وأهملها خوفاً على دينهم وعقائدهم . وحرصاً على ما وضعه فيهم

الإسلام من مادي. ومثل ذلك سبغ القرآن أن يقتضيه عيبه،
في معركته اللاغية لطافرة بما قدمه لعقول الناس وقلوبهم من أعمال
تفوقها. وعة وحالاً فأكبر الناس بما فيه من قصص لإشباع
حاجاتهم لفنه . .

إلا أن بعض الشواهد قد غدت محتوية في أدهن الرواة
فنقلوها المصنعي الكتب عند ما قدم العصر، فدوروا ما تعلق بهاتهم
يعرفون من أهل الجاهلية بحاد من فلقين واعتدروها أحجاراً
لا فتاً، وعدلاً لا رواية . . . أي محدثون من بعدهم فوققوا الشئ
الجاهلي على جمع الكهنة والحضنة وأعقدوا الأمر لقصصهم، عملاً
ما أحسنه حلاً من طينة إهمال وعذبة .

التيار الشككي

أحسب أن الذي أصر بدراسة القصة العربية من مدرسة انثر
العرق كله هو ذلك الفهم لدى واحد من الدارسين تراشنا لنثرى .
وهو فهم يقوم على أساس البحث عن صورة معينة من النثر تنكث
فيها الصنعة وتظهر فيها مجالات التلاعب البلاغي والقدرة على
الرصف والتزيين الشكلي وكان من نتيجة هذه أسطورة أن انصرف
هؤلاء الباحثين إلى انتقيب عن هبتهم فوجدوها في الجاهلية في أسجع
والخطابة ، ووجدوها في صدر الإسلام في الخطابة والرسائل .
ورفص الباحثون جميعاً غير هذا من الصور الثرية ولكنهم
أحسوا أن هذا الذي يرتصوه يكاد يبدأ بدايته الحقيقية منذ انصر
الأموي . وأن الصور الأخرى التي جاءتهم عما سبقه من عصور
لا تنكث من تكاد لا تثبت صحتها للناقد الخبير ، فشاءوا أن يخرجوا
من المعركة كلها حين أعلنوا أن النثر الجاهلي صاع ، وأن ما جاءه عن
عصر صدر الإسلام فيه شك كبير وأب الكتابة بدأت
عند الحميد . .

وهذا الذي قلوه عن عند حميد مثل ما يرتصوه من صور
النثر ، بل ويمثل فهمهم للنثر الفنى ومهمته عند الحميد كما يقول

الكتور شوقي صيفي (نفسه مذهبه في الشعر العربي) وكان يبعث
وقد صرحت بلغة الأمازيغية ، وقد كتب عن سر بلغة وحدها
لرسائل وإبراهيم وإخلاق . وكما ترى خصائص شكية أغصت
بها السب أو لأحر لملوها وحملوا " من عليها حملاً . .

ونحن نريد أن نبحث عن السر في هذا الباء شكلي الذي أملي
على درسي من العرب انحاءهم وطرائقهم .

أشار بحقول إلى أن إلى صفه وإلى الصفوف الأولى في الحدة
الثقافية عند الدولة الأموية كما سجد يصل إلى عصر هشام بن عبد
المالك حتى يرى على رأس تروانه سالماً مولاد . وفي بعدد بيده
عبد الحميد وهو مولد أيضاً . وعلى هذا لا . وأندى غيرهم من
غير أسماء العربية الأولى بدأ عصر الشكل ، مذهبه به وصنع
للإنسان بنعم به حديد أن يحل إلى لونه والخفة في الإظهار
تفوقه على أهل اللغة لأصدين ، وأب سبه " سرار عهده ، وله
لعدم إحساس حقيق بالروح السب في حده في حده
حيث كونه شحنة دلالات متواصلة . على سب سب له لسكان عرب
كل محاولات الصعقة الأسلوبية في الإبداع عن معده ودلالة
لنفسية . من حيث تتعمق سر هذه " صور سب عيه التي أبوا
بها تحس منها أن يقط . لانه موسيقية وشعبية كماله دلالة

لعمامة سية، والكنه وسطاً، وصف واحد من سببية يكاد يفقد دلالاته
 الشخصية الموارنة، ويكاد يحل كل لفظ يحل أحده ما دام مساوياً
 له في المعنى دون ما اهتمام شجنته العاصفية... وقد كان من سمات
 عبد الحميد الترادف، ومعنى الترادف بمساواة أن الكلمة تخلو من
 كل شحائنها المتوارنة لتعدو قلب طوبى يص إلى حوار غيره من
 القوالب ويساويها ليخرج به هندسة جميلة في شكله، فقيراً الفقر
 كله في الدلالات النفسية...

واللغة العربية تكاد تفقد وحدتها في كثرة ما فيها من
 مترادفات، ولدراسات الأدبية الحديثة نحاول أن نتق هذه الظاهرة
 التي تقضي على قيمة اللغة الأدبية من حيث الإستيعاب في، لإبانه
 عن نفسه قتلها وأحاديثه.

ويجمع الكهن لدى عرب في الجاهلية صرب من الشعوذة
 اللغوية كما قلنا من قبل، وهو ليس مأ وليس أدناً، وإنما هو
 عتث يعتمد على خرس انقطي، وأحسب أن هذا هو السر في
 ما تنقله إلينا كتب السيرة والأخبار من أن النبي صلى الله عليه
 وسلم هبى عنه، وأن شحائنه امتنعوا عنه، ورصفوه رصفاً
 قاطعاً، وليس هو إلا لأنه تزوير عبقلي، وهو لا دلالة حقيقية،
 ولكن السجع يعود بصورة خطيره في العصور لثالية وتعود معه

قيود شكليه جديده . ولكن مدراسين القدماء والمعاصرين جميعاً
 يقولون كل هذا في صا ، ويقسمون أبحاثهم على أساس دراسة
 المهارة الشكليه عند الكتاب . . ويرفعون بعضهم درجة
 ويخصصون غيرهم درجات بحسب مقدار ما يظهر في أعمالهم من
 مهارات حرفيه . بل يقول الدكتور شوقي صيف في كتابه
 المسامع منسائلا ، ولكن هل وجدت الكتابه عنيه التي يعتمد
 فيها الكتاب على التحير والتنميق ، وأن يدبعا في أساس كما يدبغ
 الموسيقى أو المصور أثره التي ؟ أما ما جاءنا عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فلا يلج فيه أنرا من هذا الجهد الفنى الذى يريده
 الفنانون لأثارهم .

وأحسب أن هذه العبارة كافيه للدلالة على ما يريد . والدكتور
 شوقي يقيمها بعدة نصوص من كتابات التي ليئت أنها لا تعرف
 ما أسماه بالتنميق والتحير . . وهذا في حد ذاته دليل على ما نقول
 من أن هذا العبث اللغوى لا ينبعث عن فطرة سليمة وقدرة حقيقية
 وإنما هو وليد رغبة في إظهار المهارة العقلية وسعة لإطلاع المعرى
 بما لم يكن العرب . وأولهم النبي - في حاجة إلى إنسانه ، إماما
 الدين احتاجوا إليه هم لأعراب الذين دخلوا حياه العرب
 واستعموا لعنهم .

والكتاب الناهون عند المدراسين تجدهم جميعاً كتاباً رسميين

يعملون في الدواوس وفي جمرود على ما يكتسبون . بل إن
ما يكتسبون إنما يلقى إليهم من الخليفة أو الوزير إلقاء ، وعليهم أن
يصوغوه مثل هذه الصيغ التي أسماها المدارس بالبلاغة . .
وما كانوا يستطيعون أن يلوا ماصهم ونصحوا موظفين في
الديوان إلا إذا أظهروا تفتناً وشكراً (وبلاغة وبيان)

فهؤلاء إذن هم حلق هذا اللون من الكتابة الذي شغل
دراسي البشر حتى صرفهم عن غيره . . والذي جعل من الصورة
لغة ينقلونها إلى البشر العرفي صورة شوهاء بلا دلالة إنسانية
ولا غناء فني حقيقي . .

التدوين

ولسنا حين نرفض هذه الصورة كلها معالين أو متحيزين من نحن ،
نسير مع منطق التواريخ والحصارة . فليس العرب كامله وكشعب
أقل من غيرهم من الأمم والشعوب حاجة في الإلمام عن رسومهم
من ألوان الفن . . وخاصة إذا كان هذا الفن موجوداً بالفعل
عرفوه في حاضيتهم وفي إسلامهم بصورة واضحة حية وإن أهميتها
الدارسون .

فالدكتور شوقي عيب يقرر في موضع من كتبه أن الكتابة

التاريخية قد فقد أكثرها إلا ما بقي من روايات في الطبري وابن هشام
 وابن اسحق. وابن من يرجع هذه الكتابة للاحط أنها كانت مدونة
 وأنها لم تتطور بالسرعة التي تطورت بها الكتابة السياسية. وهو يرى
 أنها لم تحرف كما انحرفت غير هامر صو. الكتابة. وقرر الأستاذ
 أحمد أمين في طر الإسلام أن القصص قد عمت في العصر الأموي
 بسرعة لأنه يتفق مع ميل العامة. والعامة هنا تعني طليعة الخ
 غير الملوك والوزراء وكتّاب الدواوين. أي كل الناس.

في العصر الذي ظهرت فيه الكتابة اليدوية ونظورت
 إلى أن تصل إلى صونها المتكاملة عند عبد الحميد وأستاذه سالم
 نجد حركة أخرى قد سبقتها إلى الظهور، تلك هي حركة التأليف
 القصصية الروائي أو إذا ما أسميناها بالإسهم الذي عُرفت به فهي
 حركة التبع-وين أتريجي. ولو أن حركة التبعين قد اشتدت
 في العصر العباسي إلا أن بدايتها لها قد ظهرت في العصر الأموي.
 فاس سديم في الفهرست يذكر أن زياد بن أسد المتوفى عام ٥٣ هـ
 قد ألف كتاباً في مثالب العرب، وذكر المير خوارزمي في المعجم
 المسماة الكرى المتوفى في عام ٦٠ هـ اسمه لطافر والناسر، كما يذكر
 ابن سعد في طبقاته أن عبد الله بن عباس المتوفى عام ٦٨ هـ كانت
 له مدونات كثيرة تصهر لنا صورة منها في الكتب المتأخرة ككتاب
 لتيجر لوهب بن ميمون الذي ينقل عنه روايات حول دي نقرين..

وعبد بن شريفة الحرمي المتوفى عام ٧٠ هـ تقريباً كتاب
 في أحبار اليمن وأشعارها وأسابيها . يقول عنه الدكتور حسين
 نصار في كتابه « نشأة التدوين التاريخي عند العرب » : هو ملحمة
 من أجل الملاحم لعربية الشريفة التي تناول تاريخ حرب الحنوبيين
 ويلعب فيها الخيال دوراً كبيراً ، ويحلبها الشعر والسطع الشريفة
 الأرحورية - أي المعنى - والقصص الإسرائيلية المأخوذة
 من النبوة وأحبار الإسرائيليين . ملحمة تشبه الملاحم التي ستظهر
 في العصور الإسلامية المتأخرة من أمثال ملاحم عنزة والظاهر
 بيبرس وكميرة ذات أهمية . ولكنها تمتاز عنها بسمو أسلوبها .
 وفصاحتها العربية . ولعلنا لا نطـ ط كثيراً حين نقرأها بشاهنامة
 الفردوسي الشعرية التي تناول تاريخ الفرس منذ أقدم العصور حتى
 الفتح الإسلامي ، وبؤسفتا كل الأسف صباغ الجزء الأخير منها .

فإذا ما تقدمنا قليلاً إلى عصر عبد الحميد وسالم وجدنا من أصحاب
 المؤلفات أدب من عثمان المتوفى عام ١٠٥ هـ مؤلفاً في المعاري .
 وعروة بن الربير المتوفى عام ٩٤ هـ مؤلفاً في التاريخ ، ووهب
 بن مئنه المتوفى عام ١١٠ هـ مؤلفاً في سير ملوك اليمن ، ويقول عنه
 الدكتور حسين نصار في كتابه السابق الذكر : ولا يخالف كتاب
 النبحان لوهب كثيراً عن كتاب عبد بن شريفة في طريقة العرض
 فهما يظفان الخيال العنان في تصوير الوقائع . ويلوون الخوا

التاريخية بأصناف حياية قد نمرح بها إلى حد الخيال والامطورة .
كما يدخلان في تاريخها انكثير من الحوادث الى لا أصل لها ولذالك
يصدق عليهما اسم القصصى التاريخى أكثر من أى نعت آخر
ومع ندمهما امدداً للحركة القصصية التاريخية التى كانت موحودة
في الجاهلية .

النزوق العربى

هذه الحركة لم تظهر فجأة ولا سبجة لحاجة الدولة الرسمية وإنما
هى بلا شك استمرار الحركة سبقتها في الجاهلية عيت بالقصص
وحكايات التاريخ ولا طارو ستمرت أثناء الإسلام . ثم احتاجها
المسلمون حين اتسمت رفعة الدولة وأشانت صور الحياة وتعقدت
ودخل حياتهم أحساس أخرى يحملون ثروات ضخمة من التراث
القصصى واحتاجها المسلمون تثبت المعانى الديبية وتدوين أحداث
الرسالة وسيره الرسول وتفسير اشادات القرآن الكريم إلى
أحداث التاريخ فيما أورد من قصص .

ويروى المسعودى عن معاوية انه كان يستمر إلى ثالث ائيس
في أحبار العرب وأيامها ، ولعجم وموكلها ، وسياستها لرعيته ،
وغير ذلك من أحبار الأمم السالفة . ثم تأتبه الطرف العربيه
من عند نساته من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفه . ثم يدخل

فيام تلك الليل ، ثم يقوم فتقعد فيحضر الدفاتر ويسير الملوكة
وأجبارها ، والحروب والمكايد ، فيقرأ دفت عليه عيان مرتين ،
وقد وكلا يحفظها وقرتها ، فتمر سمعه كل ليلة خمس من الأحبار
واسير والآثر وأنواع لبيسات .

وهذا النص يزيد أن تخرج منه مسجعين : الأولي أن الذوق
العربي كان يميل إلى هذا اللون من الإنتاج أعنى لقصص . ومعاقبة
بعد عرو يتمن الذوق العربي الأصل الذي كان يعنى عناية كبيرة
بأحاديث من مصى . . وكتاب دَغَصَّ الدنانير عباره عن مجالس
وأسماء دارت في بلاط الخليفة معاوية . . أما كتب أخبار اليمن
لعبيد بن شربة فيقول عن معاوية ، وكانت أفضل لداه في آخر عمره
المساعرة وأحاديث من مصى . فقال له عمرو بن العاص لو بعثت
إلى الحرصمى الذى بالرفعة من بقايا من مصى به أدرك ملوك الجاهلية
وهو أعلم من بقى اليوم في حديث العرب وأساب ، وأوصفه
لما مر عليه من تصريف الدهر . فعث إليه معاوية فأنى في تحمل
بعد أيام كثيرة وشدة شوق من معاوية إليه . فحصل عليه شيخ
كبير اسر جميع لادن ثبات العقل منه درب اللسان كأبه الجدع
فسم على معاوية بالخلافة فرحب به معاوية وقال له ان أردت
اتحادك مؤددا لي وسيرا ومقوما ، وأنا باعث إلى أهيك واقنهم إلى
جوارى وكرلى سيرا فى ليل وورير آنى أمرى .

ثم يمضى الكتاب يذكر أن الليالى مرت على معاوية وعبيد في

سمر متصل . وعبيد بروى وأهل ديوان معاوية وكتابه يدونون
ومعاوية نفسه يسأل ويستريد ويناقش .

ومن من ذكرت لك أمر نعيم الدارى الذى قص فى مسجد
الرسول فى خلافه عمر وخلافه عثمان وهو الذى ذكر لئننى صلى الله
عليه وسلم قصة الحساسة والدجال . وبروون عن على بن أبى طالب
به طرد انقصاص من المسجد باستثناء الحسن البصرى . وفى كتاب
القصة للسكندى ان كثيراً من القصة كانوا يعينون قصاصاً
فى جوار عملهم الاصلى ، فيقولون إن أول من قص بمصر سليم بن
عتر الشجيعى فى سنة ٣٨ هـ وجمع له القضاء إلى القصص ثم عزل
عن القصص وأُفرد بالقصاص .

واندى أريد أن أخرج به من هذا كله أن التدقيق العربى كان يمين إلى
هذا اللون من الإنتاج وبقب عليه إقبالا شديداً دعا معاوية إلى
تعيين قاص بالمسجد يقص على الناس ما أسماه المقرئ فى حططه
نقصص الخاصة تفرقة منه بينه وبين قصص العامة التى كان يجتمع
فيها السر من الناس حول قاص يسمعون إليه ..

ووجود هذا اللون من الشعر فى عصور الإسلام المبكرة ، واعتداف
الخلفاء الراشدين به ، وسماحهم بتداوله فى مسجد رسول الله ، إلى
جوار ما نراه من تدوين معاوية له تدوفا يدفعه إلى استقدام انقصاص
وتدوين ما يقولون وإصاعة أكثر اللين فى الاستماع إليهم . كل

هذا يدل على أن انحصار كانت شيئاً في طبيعته العرفية من قديم لم يجد
ولا أمره بعد الإسلام إلا الاعتراف به وإقراره ثم العمل على
توجيهه بما يحرم دعوة الدين الجديد أو الدعاوى لسياسية اختلعه
كما سري فيما بعد .

والنتيجة كنية التي يريد أن يخرج بها من نص المسعودي عن
معاوية أن نشأه التدوين لم تتأخر حتى العصر العباسي ، بل نحن نرى
معاوية في مطلع العصر الأموي يعرف أنه عتبه دعاتر فيها سير
ملوك وأحبارها . كما نرى في كتاب عبيد أن معاوية كان بأمر أهل
ديوانه تدوين ما يقول . وهذه الدفاتر لم تكن بدت في هذا العصر
ولا شك أنه كان قبل الإسلام تدوين . وقد جاء في سيرة بن هشام
أن سُوَيْد بن صامت قديم مكة حاجاً أو معسراً ، وكان سويد
يُسمى قومه فيهم بكامل الجسد وشرفه وسبه فتصدى له
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به . فدعاه إلى الله وإلى
الإسلام ، فقال له سويد . فلعن لذي معك مثل الذي معي ، فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما الذي معك به ، قال : بحجة
لقمان . . . أي الصحيفة التي فيها حكم لقمان . . . وكان الرسول عليه
السلام يتحد من صحابه كنية للوحي . ويروي بن النديم في
المهرست أنه كان بمدينة (الحديثة) راحل يقال له محمد بن الحسين
جَمَّعة للكتب . وله حرمة مألوف مثلها كثرة ، تحتوي على

قطعة من الكتب العربية والكتب القديمة ، ونصفي ان القديم
 يذكر أنه رأى كتب هذا المجل فرأى فيها مصحفا بخط خالد بن
 أنس أهبتياح صاحب على كما رأى فيها بخط الإمامين الحسن والحسين ..
 هالدريين إذن لم يتأخر كل هذا لتأخر الذي حسب مؤرخو
 النثر وإنما هو معروف من الإسلام ، وعمد دون من الإسلام من
 أخبار وقصص نقل الفصوص بعد هذا ، بل ومن المؤرخون
 والرواة إلى من دون . . ويروى ان حنكاه والريدي في طمأنه
 وكذا الحافظ في البيان والتبيين وان أما عمرو بن العلاء وقد ولد
 نحو سنة سبعين للهجرة كانت كسه التي كتب عن العرب الفصحاء
 قد ملأت بيتاً له في قريب من تسع مئة ثم انه تقرأ أي تسك
 فأخرجها أو أخرجها كلها ، فلما رجع إلى عمه الأول لم يكن عنده
 إلا ما حفظه بقلبه ، وكانت عامه أحماده عن أعرب قد أدركوا
 الحاهلية ، . . ويقولون ان هشام في أخيراً الثاني من السيرة : وبلغني
 أن رؤساء بحران كانوا يورثون كتباً عنهم فكلمنا ماب رئيس
 عنهم فأقصت الرئاسة إلى عمره ، حتم على تلك الكتب حاتم مع
 الخواتم التي كانت قبله ولم يكسر ه . .

ولدي يريد أن نقوله أن السوي لم يكن بدعه تحتج إلى
 دخول العرب إلى الإسلام ببعضها العرب وإيهم مدعوهها
 قبل أن يدخل العرب الإسلام ، بل قبل أن يعرف العرب الإسلام ،

ويلى حوا كل ما قدم من أدلة فيحس مقدم هذا التراث الصالح
أما جاء انت هذا على وجود ما حفظه من الروايات ولو لم يكن هذا
أبى حفظه إلا الكفاية ما علمنا مكتبي قسم القرآن الكريم
(١٠٠) ولهم وما يصرون) البرج وشرح

ولما عافى يروى لنا صورة حبيه عن بعض الأموي إذ يذكر
أن عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الخجعي — وهو
أموي — قد حدثنا فعمل فيه شصحنات ورددت وفرقات
ودفارهم من كل عمر، وحسن في الحذر أو تاداً من جاء علق ثيابه
على وتدمه، ثم جر دفترأ فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب به..
وإلى هذا الحد من البشار الكتب والكتبه بلع الأمر، وهذه
صوره لباد حماده كتب ولعمارة، ولعبه أقرب إلى المسكنة
لعمام منه إلى الذي شكله الذي نعرفه .

والأستاذ حماد أمي يذهب في آخر الإسلام هذا المذهب
أبى يذهب فقرر أن العرب عرفوا التدوين من العصر الأموي
أو فيه بكثير .

والجاء عن هذه السفة نائبات به سبه . فأنت ترى معي أن
الفساد سقطوا إلى الخراب على الشكل والزخرفة وأخذوا
يدسونه ونور حور لكاتبه مما هم أهموا إيمالا كتاباً آخرين
ونشراً آخر يعاصر هذا من الذي نلوه من يسفه بكثير، أعني

القصص المدونة والمنقولة عن الرواة في كتب التاريخ والأخبار
والطوائف وقد حاول المفسرون أن يبرروا هذا المثلوك بإدعاء
أن هذا الذي جاء به إنما روي بالمعنى لعدم معرفة العرب بقرابة
والسبب ولهذا فهم يرفضونه . وقد ردوا على هذا بأن أثبتت بما
لا يدع محالاً للشك أن العرب لم يعرفوا "الكثبان" والسبب وحسب
وإنما هم قد دونوا بالصيغ ومندرجين من مكر حداثاً أصحير وقصص
الأمم السابقة وأخبار ملوك العرب وشعرهم . وأكثر من هذا
أنهم حافظوا على هذا التراث وأحلوه المحل الأول من اعتبارهم
قيل أن تنشأ دواوين الرسل وأصحاب من ذى الصنعة الشكليه

بل أريد أن أذهب إلى أكثر من هذا ، فإني أنقص هي
التي حفظت لنا الشعر الجاهلي وهو المتعدد . ونظرة إلى كتاب
عبيد بن ربيعة في أخبار ملوك اليمن ترى أن معونه كان لا يرضى
من عبيد قصة إلا وهي بخلاف ما شعر . فبدلاً من عبيد قصته وذكر
على سائر أطلالها لشعر الذي قدوة ، فإنما أعقل عبيد أمر الشعر
أسرع معاوية يقول له . سألني أبا نمر شعر تحفظه فيما قاله أحد
إلا ذكرت ، وكانما القصة لا تصح عنه إلا بالشعر يرد على السنة
من يدور عنهم الحديث فيقول له ، سأنت ألا شددت حديثك
بعض ما قالوا من الشعر . ولو ثلاثة أبيات ، ونحن ما نجد
عند عبيد محده عند وهو من منه الذي يذكر لك كل قصة

مشروعة كانت حي و و كان ينحدر عن آدم فهو يورد على
لأنه شعر آ !

و هذا هو الشعر كما لاحظ الدكتور حسين نصار نحو شعر
موضوع على من سب أباهم لإرضاء السامعين وكثرة من مذهب
تأليف القصص عند العرب . واثبت شعر جاء على لسانه شعراء
حقيقيين مد تحده في روايته . ووقع أن ظاهرة ورود الشعر
على لسانه أصل هذه روايات تاريخية إنما يؤكد أنها وصفت
للقصص ولست تشرح . فهذا مذهب جده وصحاح بعد ذلك في ألف
سنة و ليلة وسيرة غيره وسيف بن ذي يزن وغيرها . في هذه
القصص لا يسقيم موقف له قيمته من موثقها إلا و يروي فيه
شيء من الشعر . . . وقد دعت هذه الظاهرة الدكتور طه حسين في
كتبه (في أدب الجاهلي) إلى شك في كل ما جاء بالكسب التي
اعتمد على هذه المصادر الأولى من شعر . . . والذي يجب أن
نؤكد أن أصحاب هذه الكتب كانوا لا يؤرخون تاريخاً حقيقياً
و إنما هم كانوا يفتنون قصصاً فساداً بقصد منه الإصعاع على لا الحقيقة
لعمري أحسنه في هذا هو الشعر من أعظم ما جاء على لسان العرب .
في و حتى شعر كوكب و بيا حقه و بدون قصد حفظ صور من
الشعر الجاهلي . و لا يمكن حجب بعد إلى شيء من التحقيق حول
ما أوردوه لإخراج ما أعزاه وضعوا و استخراج الشعر العربي
الحقيقي مما ذكره .

وأكد أن عرفت بعد هذا كله أن هذه الكتب وهذه
المنتشرة في الكتب هي أقرب وأشبه إلى صورة النثر الخفي وثر
صدر الإسلام من كل ما أورده من خطب وجمع ورسائل
فمنهم من أشترى هو أمانة تدبر عن حياة هو أمانة
رحمة مشاعر الأمة وأحلام وأملها ولا يهتد بخشيتها
مادما تقيمه على هذا الأساس فهو لصحة نفسه أنه عام
توفرها ومن بعض كاشحات هذا له أن أحوال من هذه
الأعمال ما فيها من شعر قد يسود وسحر حاد ما فيها من
خطب وجمع وأمثال لحفظه ، ووجد يستصير منه هو أمانة
زائفة للنثر وهم قد تركوا بعض الأثر نفسه وهو سره أو حب
والواقع أن يستأثر الذين من "هـ" معنى أن بدأه
هذه الكتب التي دونت في صورة صورة الإسلام هي أشك
صورة للنثر الجاهل أو هي إما أن طبع في هذه الكتب
يعتمد كلها على القصص من هي قديم أصلي أي أنها رواية أحدث
وسير وأخبار ، فسامنا على ذلك ، ومن هو من جده
الأول كان هو القصص والرواية أما ما بعد هذا من صور كالحطانة
واسجع فلا بد أن تكون مسجدة حجة واقعية من حجاب
الحياة ، ودرسها أقرب إلى من يهتد به في من الكتب
والذين سون القدماء حين اعتمدوا على الخلفاء في من النثر

كانوا يناقضون مع أنفسهم ومع أساتهم كل النقص والخطاه
عن سياسي والمسائل بعد هذا عمل حكومي ديوني ، وليس من
الأدب في شيء ككتابة لا تعرض عن نفس صاحبها أو نفس الأمة التي
ينسب إليها ، والخطاه والكتابة الذي ية أعمال وليست فناً ،
أو تمير أدق حرفة وصانه قد يد على الهرة والحدق ، وقد
سبح فيها الذكاء والإبتكار وسك لن مكتشف بها جوهر
صاحب وقلة وعقله جميعاً وإعنا هذه الأمور لا يكشفها إلا
المثل لطابق الذي حرج من صميم الشعب يُعبر ٤٤ ، ولدى عاش
في وجد ، كانه أحلاماً وحيالات وأساطير ليحرج إلى الناس
صورة بمتعة لما يحسون ، واستحبة طبيعته لموقفهم من الحياة
والمجتمع والكون جميعاً

وليس من عذر بعد هذا يقف دون دراسة هذا التراث
القصصي الذي تبي لنا في صورة هذه الكتب .

مراحل دراسه الروايه العربيه

والواقع أننا نستطيع أن نقسم - سمة الرواية العربيه إلى عدة مراحل ، فهي تبدأ أولاً بمرحلة كتب لأحمد بن محمد بن أبي العيص في العصر الأموي واستمرت إلى العصر العباسي وهذه تدل على حصانها وتبين ملامحها كتب وهب بن منبه وعبد بن شريك وأحمد بن هشام وقد نرى بعد هذه مرحلة تأليف المعاصر في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي في مثل كتيبة ودمنه وسيرة بن عتيق التي فيها تأليف عربي ابن هشام . ثم يظهر انقضاء الشعر في ألف ليلة وليلة وسبع آخر ثم صورة من الروايه العربيه في سيرة عدي بن زيد بن عدي . وبعدنا نستطيع في بحثنا أن ندرك المرحله الأولى كنهها - بقصه التي قدمنا . على أن نحاول أن نكاف في الوقت مدسح أن قدده دراسة في المرحلتين التاليتين

والسؤال الذي يحتملنا في بحث المرحله الأولى وهي مرحلة بدء التدوين ، أو مرحلة اجمع كايح أو تسميها هي هل تستحق هذه المرحله عناية الدرس والبحث ؟ والإجابة على هذا السؤال لا تصح إلا بعد الإطلاع على ما جاء في هذه الكتب

إن الصور التي ينقلها وهب بن منبه وعبيد بن شريح صور خالد
بمعنى الخلود الكامل، صور: بسايفة صارفة تعبر بحق عن حيرة الإنسان
وقلقة وترسم في وصوح صراعه مع القدر وصراعه مع الطبيعة
وصراعه مع الحياة. بل هي في كثير من قصصها ترسم صوراً للصراع
ضد الغرائز ومحاولة لتعبد عديها. كما هي بعد تنقلنا صورة حقيقية
لطبيعة الحياة العربية هي بلا شك أكثر صدقاً ووضوحاً من الصورة
التي ينقلها الشعر أو تنقلها الخطابة وما شابهها. ولما يريد أن
يحكم كلامها هذا دون أن يشير إلى ما يحسه من أسف، يد نلح هذا
العصر الطور الذي مضى على أبحاثنا المعاصرة وهي تنوك حديث
حور السجع ولزسل والترادف وإشياء هذا البحث دون
أن تلعت إلى هذه القيم الفنية الجميلة التي يحررها تراثنا
الأدبي الثرى .

حركة التجميع القصصى

يقول السيوطى فى الجزء الثانى من الإنفال فى حديثه عن العلوم
المستنبطة من القرآن

« وتسحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابعة والامم
الحالية ، ونقلوا أخبارهم ودعوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا هذه
الدنيا وأول الأشياء ، وسعرا ذلك ، التاريخ وبقصص »

حركة التاريخ والقصص كانت واحدة من الحركات الفنية والعلمية
التي سعت كضرورة حتمية لمحاولة فهم القرآن وشرح آياته والمعروف
على أحكامه . ولما لم يكن غرباً أن تبدأ هذه الحركة منذ عصر
الخلفاء الراشدين ، ويلاحظ الأستاذ أحمد أمين فى فجر الإسلام
أن ما عرف فى صدر الإسلام من أخبار الأمم الماضية والأجيال
العابرة كان الأساس الذى بنيت عليه المؤلفات التى ألفت بعد .
ككتب ابن اسحق وابن جرير وأمثالها

ويقول : « ويدل على ذلك انك لو تنعنت فى ابن جرير الطبرى
— مثلاً — سلسلة روايته وجدت أن الرواة الثلاثة أو الأربعة
الذين يتصون بحياته كانوا فى العصر العباسى ، وهؤلاء يروون عن

فيهم من كانوا في عهد الأمويين أو خلفاء الرشدين ، أعني بذلك
أن هذه الحوادث كانت معروفة في بيت لعصر ، وإن استحق
وأمثاله إنما دونوا ما كان معروفه وجمعوه ،

حركة لتجمع . من لم تنأخر إلى عصر السديين في أيام عباسيين ،
ونما بدأ التجميع من أطراف الرشدين ، ونحن نزعهم بهذه
أسبابها هي :

١ - الحاجة إلى تفهم سور القرآن ولنعرف على دلالات
ما تحكي من قصص ، فكان لابد من رواية هذه القصص
بتفاصيلها ووقائعها . والذين يعرفون ما يتعلق بهذه القصص هم
أهل الكتاب من يهود ومسيحيين ، وهم أهل الأحبار الذين
يحملون الأفاضل عن الملوك العباسيين . وقد تنفع لأستاذ أحمد أمين
في تفسير ابن جرير تفسير الآيات التي ردت عن أبيه ، فإنها تروى
عن وهب بن منبه وهو من يهود اليمن وأسلم . كما تنفع في لطايف
تفسير ما جاء عن الصاري ، فإنه يروى عن ابن حزم وهو روى
من أصل نصراني ..

فالمسلمون إذن لم يأووا من يعرفون يقصوا عنهم ما يتعلق
بأبناء أهل الكتاب الذين حكى عنهم القرآن . وقد راعى هؤلاء
في رواياتهم أن لا تختلف في شيء عما جاء بالقرآن وإذ تقيمت

كتب الشيخ لو هب من منه تليح هذه الطاهرة حلية وصحة .
فهو ردا تعرض لذكر قصة مما كان لقرآن بعده يسد إلى آيات
القرآن فيها في خلال روايته للقصة . من سد قصته في أحبار
كثيرة وكأنا هي تفسير قصصى آيات في يذكرها .

وخلال هذا التفسير يحكى انفاصين وور . الأسيا . ووقائع
مفصلا كل شيء من وحر ما لخوا بين أطل القصة . وسواء حور
هؤلاء القصاصون ما كانوا يعرفون ليلاتهم ما ح . ما قرآن أو أعموا
حياتهم وما لديهم من معومات مسما دنا حفظوا من أحبار وقرأوا
من كتب ايقموا لتفسير القصص الروق . فقد أدى عملهم هذا
على أية حال إلى تجميع أكبر عدد ممكن من القصص التي عر فيها
العرب سواء من تراثهم أو من أصحاب الكتب . .

٢ - يذهب من حلدون في مقدمته إلى أن العرب لم يكونوا
أهل كتاب ولا علم . وإنما علت عليهم البدوة والامية ، وإذا
تشرقوا إلى معرفه شيء مما تشوق إليه هموس البشرية في أساب
المسكوات وبدم الحليقة وأسرار الوحود . فاعما يسألون عنه أهل
السكنات قلمهم ويستعيدونه منهم .

والذى يريد أن نذهب إليه هو أن هذا التطوع إلى المعرفة
لم يأت بعد الإسلام ، وإنما هو بدأ عند العرب قبل الإسلام بكثير

وأهم عرفوا عن طريق هذه الرعة المذخ في المعرفة لكثير من
الأساطير والحكايات تقوها واستمع إليها من الإسلام وما
جاء الإسلام استمروا في شعبتهم هذا بالقصص والأساطير وقد
وحدوا في قصص القرآن ما يسهل حاجتهم من لكثير من المعرفة ،
وما يجعلهم يستفيدون من هذه القصص

والعرب في تطلعتهم هذا إنما كانوا يستمدون معارفهم لأمم أهل
الكتاب وحسب و بما من المعارف بحكايات الخبرة العربية وأماها
ومن المدين «نام العرب وحروهم» ويرغم أن هذه الرعة في المعرفة
هي التي مرصت الدوم العربي على طريقة سرد القصة ، وهي تعتمد
اعتماداً كبيراً على تدوين القصة باشعر وبمادح الخطابة

٣ — وهناك دافع نفسي لا يقل خطراً ، «تبريد» عن الدافعين
السابقين ، ذلك أن العرب كانت لها في هذه الأساطير «تي عرفتها
منذ جاهليتها أطلالها ومنها ، وجاء الإسلام بأحداث حظيرة أسهم
فيها كل العرب ، ومن لطيف أن تتطوع القوس إلى خلق بقصص
والأساطير حول الأطلال المحدد كما كانت تحفظها وتحكيها عن
الأطلال القدامى ..

ومن هنا كل الاهتمام بأخبار العرواات ومعارك ، ومجد من
أوائل الكتب التي عرفها عن صدر الإسلام كتب المعاري وأول
من اشتهر في تأليف المعاري أباان بن عثمان بن عقال وتناول

رسائل عروسة الربير وقائع كثيرة وهمزة في تاريخ صدر الإسلام
 كهجرة الحبشة وموقعه بدر وفتح مكة . . ومن الوصح أن هدف
 انقاصين هن كان يسير مع نفس أهداف القاصين من قبل ، فما كان
 التاريخ إلا وسيله لسرد لأحداث الروائية والقصصية التي تحمل
 المثر وتحلو الأنطال . . وقد روى أن وهب بن منبه ألف كتاباً
 في المعرى وما أحسبك تتجيب انه قد غير منهجه الذي اتبعه في ذكر
 ميثو خمير فيه ، ففهمه كقصص لأحداث المعرى لن يختلف في
 شيء عن فهمه لأحداث التاريخ .

٤ - دخل الإسلام كثير من أساء الشعوب الأخرى ، ولطؤلاه
 أساطيرهم وقصصهم ، بل لطؤلاه تاريخهم وأبطالهم ، ومن الطبيعي
 أن يدخن هؤلاء تاريخهم وقصصهم إلى الحياة الجديدة التي دخلوها . .
 والتاريخ والقصص هي أول ألوان المعارف تداولها ثم تأتي بعد
 هذ مرحلة راحة العلوم ونقل الفلسفات . .

٥ - اتخذ القصص أداة من أدوات النصال بين الشيعة
 والأحراب أي استعمل استعمالاً سياسياً للترويج للأشخاص
 والمبادئ . وقد روى عن يزيد بن حبيب أن علياً رضى الله عنه
 قست فدنا على قوم من أهل حربة ، فطلع ذلك معاوية ، فأمر
 رجلاً يقص بعد الصبح . وبعد المغرب يدعو له ولأهل انشام
 وقد جاء في المقرري عن النبي بن سعد أن معاوية ولي رجلاً على

القصص ، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس ، ذكر الله عز وجل
وحمده ومحمده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعا لجميع
ولأهل ولايته وحشمه وجوده ، ودعا على أهل حرته وعلى
المشركين كافة . .

والخصوصة القائمة بين علي وأبي بكر ثم بين علي ومعاوية وبين
عبد الله بن الزبير وعبد الملك ثم بين الأمويين وماسين كانت
لأشك حائراً عما يحوص فيه انقص صور يرفعون شأن من يوالونهم
ويحفظون من قيمة من يعادون وقد دحلت هذه العداوة في
وصع الحديث يقول ابن أبي الحديد في شرح صحيح الإبلعة : وعم
أن أصل الكذب في حديث القصاص كان من جهة الشيعة فإنهم
وصعوا في مدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وصعها
عداوة حصومهم ؛ والذي حدث في الحديث وهو ما هو عليه من
الخطورة ولأهميه ، لأشك أنه حدث في انقصص على صورة
أوسع وأرحب . .

بل إن ما عرف عن العرب من تسارع الرئاسة والفخر واشرف
كان ولا شك أحد أسباب رواج انقصص التي ترغم المض لقسيلة
وتدل لها اعناق باقي الفائل ، وحين يتقدم العصر ستجد في سيرة
عترة بن شداد حديثاً عن بني عسي يصعب فوق العرب أجمعين . .
وحين تتسع وهب من منه في كتابه الشجاعة سيجس ما يحول أن يثبتته

إثنان من فضلى الثميين على غيرهم . بل ومن تدبؤهم بالرسالة والرسول ،
وإيمان ملوكهم الأقدمين بمحمد ورسالته . .

وأصيف إلى هذا كله ذلك الصراع بين العرب والعجم والروم ،
ومن تعصب كل إلى حسه وطائفته وما يحملته القصص العربية من
صراع مرير بين العرب وغيرهم وما قررت من تفضيل للعرب
وسيادة لهم على كل جنس ومن هنا كانت العناية بكتب الأنساب
والآيام وقد روى ابن النديم في الفهرست أن زياد بن أبيه ألف
كتاباً في مثالب العرب وبذهب الدكتور حسين نصار في كتابه
(نشأة التدوين التاريخي عند العرب) إلى أنه كتاب في الأنساب
ألفه زياد بعد استلحاق معاوية إياه وتعبير الناس له ، فأراد أن
يرود نفسه بسلاح يحجب به المتعرضين له ، ويرجح الدكتور
حسين نصار أن كتب الأنساب والشعوبين المتأخرين أحدث عنه .
وكتاب عبيد بن شربة الذي جمعت فيه أسماء مع معاوية اسمه .
أخبار عبيد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسائها ..
٦ وهناك سبب آخر لعمه كان من أسباب الوضع والتأليف
لأن القصص وحسب وإنما في الحديث كذلك ، ذلك هو حاجة
المسلمين في تفسير آيات القرآن إلى معرفة أسياها نزولها ومكان
نزولها والحادثة التي تشير إليها كما أنه من المعروف أن النبي قد أفر
الكثير من الأحكام الاجتماعية التي كان العرب يعرفونها ، كما

أنكر الكثير منها وعدل بعضها ، فاحتاج المفسرون ، لا شك إلى معرفة كل ما يمكن أن يعرفوه عن عصر لى وسيرته كما احتاجوا إلى ما يمكن أن يفسر لهم الكثير من الأحكام من حكايات العرب قس الإسلام وتقاليدهم وحياتهم وعاداتهم .

وقد أورد السيوطي في الجزء الثانى من الانشال قول الإمام احمد بن حنبل ، ثلاثة ليس لها أصل التفسير ، والملاحم ، والمعارى ، وإمام احمد يعنى أنها أقرب إلى القصص منها إلى الحقائق لتاريخية المتواضع على صحتها .

أنواع القصص

هذه إحداهن هي الأساطير التي خلقت حركة لتجميع حلقه. بديك
 لطبيعة أعرى الـ عـ هـ ملون من "نـ" والتي تـ عـ بـ
 وتفصله وهي التي دفعت معويه إلى تعيين قصص الرسمين
 بقصص على الناس في المساجد، من عـ أن جعلها شـ عـ
 الذي قص في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم منذ أيام عمر .
 والصورة العامة أي مجموعها من كتب الأدب عن هذا العصر
 هي صورة منشأه، فهناك قصص رسميون يعمدون في الناس
 في المساجد، وهذه حلقات عبر ممة أسيادا مقرر في حلقه
 قلا عن بيت من سعد قصص "عـ" وحكم "عـ" بها مكرهه
 من فعلم، أو سمع إلى ما فهم من قصص وهذا قصص في
 لاط الخليفة نفسه كتب قصود في يثرب. بينا كتاب عهد في
 شريه من محسن معويه من إن كتب المعمر من لسجسـه
 لنا أكثر من صورة من معويه التي تروى في القصص
 ولروايات وهناك في كل مدينة إسلامية قصصون، فيروى
 الخاط في البيه والتبين أن جعفر من الحسن كان أول من قص
 في مسجد البصرة، وفي مدنه كان من كبار نقصان مسـه
 حسب المثل وكان قاص مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مدنية

والواقع أن هذه القصص هـ نخرج إلى حلاء . وتستطيع أن
نقسم القصص إلى أنواع ثلاثة مع بداخل بين هذه الأنواع يتبع
لفصل عساري لا حقيقياً .

١ - فهناك قصص الكبار . من أمثال عبيد بن شربة
ووهب بن منبه من كمال . أحد عنهم غيرهم . ومن ذكر و تريحهم
وقصصهم من هذه الخيفة وتنعو أحدهم ملوك وتريح العرب
وأصابهم . وبعد هؤلاء في الواقع مر كز حركة لجميع القصص
وفي أعماهم إشارات إلى أصابع حادثة منعرض لها بيان أهميتها
في عم القصة لعالمية ودلالات ما تخفيه على حصاره وعراقة . وعلى
واقع . بساية لا تتأخر بالأسطورة العلية عن مثيلاتها في كل
الادب لعالمية . وعن هؤلاء . حد كتاب الرواية المتأخرون .
كما أحدث الكثير من القصص شعبية والملاحم .

٢ - وهناك هؤلاء القصص غير الرسميين وما أحسنهم
إلا مؤلفين من حكايات . يتطوعون تطوعاً سألهمها من
حياتهم دون أنصوب من عند قديم يتمكنوا من هوس العامة لمجموعة
حرفهم . وإنما كان هذا سر سبي عن الاتصال بهم . وحفر من عملهم
كما فعل لهم إلى في كتابه لإحياء فقد عد عملهم من المكرات .

٣ . النوع الثالث هم قصص الرسميين من أمثال الحسن

البصرى ، لا أن إطلاق كلمة قاص على هذا الطريق فيه الكثير
 من التجويز ، فما أحسنهم أكثر من وعاء يعتمدون على يد كبر
 الآخرة وانه هيب من النار . ومن قصص الحب لى ترى لها
 كثير ، فى كتب ذلك قوله مثلا . يا من آدم لم يكن فى كونه
 وسألت فأعطيت . وسألت ففُتحت . فليس ما صعب .
 وهذه كما ترى أقرب من الوعد والإرشاد منه إلى القصص .
 ولعل منه ما كان يقع به ثم الدرى وواحد من أعضاء غيرهما
 وقد أسمى الدكتور شوقي صنف هذا "تمتصص بحق خطبه لى فيه
 وهكذا أخرجها من هذا الميدان "تمتصص" . وذكروا شىء بحق
 فى هذا من الوعد وإن أسد من التمتصص . لا أنه ليس عملا قصصاً
 فى حد ذاته

كتاب التيجان

و نحن لن نركز اهتمامنا في عصر الجميع هذا إلا على قصاص
لنوع الأول ، أعني هؤلاء الذين جمعوا في قصصهم كل ما وقفوا
عليه من حكايات العرب وأخبار موكمه والأساطير التي تحكى عن
أطرافهم ، هؤلاء يمثلون بحق بداية عصر لقصة لعرية في ظل الإسلام
والامتداد الطبيعي لقصة لعرية في الجاهلية وبطرفة إلى ما رويوا
تحدثنا بالمعنى قيمة لقصص الجاهلي وأهميته . وسأبدأ لك الحديث
عن كتاب وهب بن منبه (ليحج في ملوك حمير) وقد رويده أبو محمد
عبد الملك بن هشام ، عن أسد بن موسى عن أبي إدريس بن سنان
عن حده لامة وهب بن منبه قال كتاب لم يكتبه وهب بن
و يروي عنه ابن هشام ، وقد أدى هب بن تدخل ابن هشام
في أثناء التحويل ليضيف من الأحداث المتأخرة ما يعد استطراداً
لحكايات وهب عن الأحداث المقدمة ، إلا أن دراسة الكتاب
لم يأت وقتها بعد ، وإنما أنا أريد أولاً أن أعرض لك صوراً
عما في الكتاب من قصص وأساطير ثم نعود معاً لندرس
الكتاب وطريقة تأليفه ومهج الرواية فيه . .

(مضاض ومي)

الحادث من مصاص الحرمي أسطورة عاشت ثلاثمائة عام ،
مائة منها ملكا على مكة وثاني عمره نائها صاعدا يحول هنا وهناك
بلا هدف فيما يشبه أسطورة اليهودي الثاني . ومن أحدثك عنه
هنا وإنما أن أريد أن أحدثك عن قصة حكاها هو لأباد بن نزار
ابن معد بن عدنان ، وحكاها أباد بنفس قصة الثروة التي حامت
إليه . والقصة طويلة تبدأ حين يلقى أباد بالحرمي الثاني ويصلان
في حو لاها والحرمي يقص له قصة كل مكان يصلان إليه ويحكي
له حكايته ولماذا سمي بما يجعل من سم . وهو في حلال هذا
يورد مجموعة من أحسن الأساطير وأرقها وأكثرها شاعرية
وحالا ، وبلى ومن أكثرها دلالة على عقلية الشعب العربي وفهمه
للحياة والمثل والسلوك . من أن يصلان في رحتهما إلى مكان اسمه
موطن الموت ، وهما تسأل الحرمي صاحبه أدرى سر تسمية هذا
الموضع بموطن الموت فقول صاحبه لا فيبدأ الحرمي حكاية
جديدة أحب أن أورد لك تحتها بعض راويها وهب من منبه

تختصر أمه بعض الشيء ، وهي تمت في صفحة ١٨٨ من طبعة
حيدر آباد لكتاب السجستان .

° °

قال الخرمي بعد يابى إنه لم يصب مصاص إلا أخى عمرو
الحديث . ثم يسكن نكك ولا م ولا م ولا م أحسن منه . وكل من سات
عنه من بنت لملك حاربه تسمى (ميا) بنت مهدي بن عامر ، وكان
معه في نسق واحد . وكانت أحسن من رآته العيون . فقتلها
وفقتت . وشب معها وشدت معه في حى واحد . وصان مائة
عنها . فب طلع بهما لخمى ملعه وحدا من الفصححة أو السقم
أو الموت بهما إلى فشكوا ما رى بهما من شوى بعضهما إلى بعض .
فأرسلت بن مهدي وأعنته ما كان بهما . فقال لى أنها الملك
أب و بهما فعل بها ر أيك و روجه مة

قال الخرمي . وقد هم عين الشراصم (جرد) وكما لا يحدث
فيه حدثا غير لعمره والصوف حى سلاح . فقتلته يامهيل
صرف ر حب و فعل .

و عتمر مصاص وصاف وبيع ذلك (ميا) فأقيد . تغمر
وطوف متكرة غيره على مصاص . ومصاص لا يعلم نكاه . .
وكان قيس بن سراج من ر هط حتر في جرم قد ر أى (ميا) فهو بها
ومى لا تعلم . ومصاص لا يعلم . وكان قيس براعى أحوال مى . فلما

بلغة أنها اعتبرت حرج إلى طواف يعصى منه من نظر إليها .
فكأنات مي تطوف وتراعى أحوال مصاص ومصاص لايعم بدت ،
وكان قس بطوف في إثر مي ومي لا تعم بدت .

وكانت رقية بنت السهلون لخر هي بطوف واليوم فاطمة . فحششت
عقش خافت منه على بعدها الموت . وحششت أن تعذب لأهل
السقاية وسدنة الباب من حرجهم . فبما أنصرت مصاصاً يادونه
لشبهه . فقال له يامصاص سنى حرجه من ماء لاني أحسن أن
أموت طمأ فباوها . فمرأته مي حرجا من قه الماء . فاشعن قلبه
عرة فسقطت معشاً عليها . وحدثت بعد لا تدرى مهي قه . وظهر
إليها الخجيج نفس هر عر حش

ثم أدرك مي نفسها . فقامت في سعة الطواف ووتت إلى
ميرها . وكان مراد أنها مهين في سجع حش مكذبات أباد
فقال لها ما خجيج عليه . فقامت به لمعري خجيج يأنه .
ولكن الموت لا كنتم وإنك شكمتي . فقامت في ثبات عمالي
ورجائي . فقال ثبات يامسه . قال . بدع من صدره أن نه تم
بعد ما صدعه . فقامت أنه من مصاص . فقامت على قلبه وحده .
فبما أجهانه قذوف الهوى حلف . فقامت . فبما يلا حصر رقيه
بنت السهلون . ومقصدها . فقامت . وحي حشمي أسرع من حرجه عين
ثم تداركت أمري . ورأيت أنه بدل حش بحش . وحظر حظر ولم

يلعب والله خطر شديد من عامر ، ولا قه من ليلها من مياض
مهل من عامر قالها أبدا . صدقت . لا والله الكعبة ما يكون
دث . قالت : بالله لن والله أقبح موضع يكون فيه مصاص
من عمرو أنداء . وفي أحلة إلى أحزاب حبر من قيس فقال لها .
لك ذلك يا سبيه . وأنشأت تقول .

مصاص عدت حب والحب صادق . وللحب سلطان يمر أقداره
عدت ولم أعز . وللحب . موثق . وليس فتي من لا يقر قراره
أبيت أفاسي اللحم واللبس دامن . وللحب قطب لا يدور مداره
إذا عاب لم أشهد وكان محله . محلي وداري حيثما كان داره
إذا حاج ما عندي لأور غيره . علاه اشتغال ما يطاق أسده .

قال الجرهمي وأنها قيس من سراج وأشأ نفس ه أحجاراً
ليفرق بينها وبين مصاص . . وقالها . يمي رأيت عجب . قالت :
ما هو ؟ قال ه . أبيت مصاص وصفا كفيه على قرون رقيه
من الهول في الطواف . وهو ما أفع عم أهل الطواف من عا
وما حان ثم منسقة ماء فواو . يه فشر و دواته . فأشأ مصاص
يقول . قالت : هو الذي قال يا قيس . قال ه :

رفينة قلبي قد تبين صدعه . ولحب مي شاهد ودليل
رأيت الهوى يهوى وللوصال واصل . فهل لك أن يلقى الخليل خليل

قال فأجابته قية فقالت .

أصون هوى والطرف منى كاتم ولا يعلمون ناس إدد لك مادئ
سوى ابى قد فرت منك سطرة • تجرعب عبد الحب منه مع الماء
فالتفتها حمية قول قبس وجمعت تقن من حيام الحى مرة
وتدبر أخرى وهى لا تعلم ماهى فيه . ثم قالت لآبها : ندرت لله
نذرأ يا أبه لئلا تحل غدا . قال لها أبها . نعم .

قال اخرهى : وإن رجلا من أهل الحى مع مصاصا فاعلمه
نما قال قبس واما قالت مى ، فركب فرسه وأخذ سيده وخرج يريد
قتل قبس . وأندر قبس شرح هاربا فى البداء ، فما أدري
أى أرض انطوت عليه إلى يومئذ هذا

فما لم يجد مصاص من قبس اثرأ وأعجزه هربا رجع إلى مى
وأصاب أهل الحى يحتملون ، وأصاب ميار كه على بحيب فى هودحها
فقصدها وقال . يامى أعيدك بالله . نعدرى من لم يعذرک ،
وهو موقى من يديك خودى لمن لم يحترم حرما

يعشى عن الناس لخط طرى • وعك يامى غير عاشى
اتهجربنى بغير دس • وتشمبى بقول واشى
فولت عنه وعباه تعرور قان دموعا ، ونجهته ورجمت غصى
ونمادى الحى لرحلة ، وافرق الحى من سفع الجبل ..

قال الجرهمي . قصي حتى أتى مكة فعلب عليه الهوى . وورح
منها عطفاً ، فتعرض لها قائلاً :

علام قدست الذر يا أم غالب ؟ لنا فوس حين هاجت نار
على كبر حري وأنت عيتمه . لعب رقيق لا بين صمده
سأتك نار حن لا تجمعي هوى . عليه وهجرانا وحبك جاره
إل لم يكن وصل فلفظ مكانه . ربه وإلا موصل الموت دره
هولت عنه وتجهمته وفات له . والله لا ألقاك . أبداً .

فولى إلى صاحبيه وهما أساء عمه وقال . والله لا أشرب بعدها ماء
أبداً . . وولى وألف أن يدخل مكة . ومضى معه صاحبه يستعطفه
على شرب الماء فأبى لها . فجاء حتى علب عليه العطش ، وانصدع فيه
في صدره لما حاصر ليلس ، حتى لمع هذا الموضع فعشيه انبوب ،
فأماح نافته وأحد اس عمه رأسه وجعه في حجره وقال له .
قصصك الدهر يا مصاص . ففتح عينيه وقال : قصصى قبس .

قال الجرهمي . ثم مات ، وفقدت أبا من عمر واتى فحسنته ميتاً .
فحزب له صرحاً في هذه الصحرة

أما من فقد لقيت ربه من البهلول ، فقالت لها رقية :
يا من كان من شألك ومصص ؟ فأعلتها ، فقالت لها :
طالته يا من ، بالله ما كل منى وبه قط سب ، ولا كلمته غير
ستسقاى من الماء . ثم ما رأته بعدها إلى يومى هذا . .

قالت هامي . فهل كان ملك إليه شعر . ومنه إليك شعر ؟ قالت
ها . والله ما كان لي وبينه كله غير استسقاء الماء إليه .. وأناها من
علم أمر قبيلس وما درس بينهما فندمت وبعثت إليه هم فجدته .
وتعاطم شوقها لما علمت من كلفه لها و .. منه .

فيما هي تسأل من لقيه إذ نعى إرب فتوارب عن الحى . ونعمتها
حارية من شات عنها كانت مؤاساة هاضمة على أسرارها . فوجدتها
ساکنة تنظر عجب . وشمالا كأنها حنق . قالت ها باي أراك هلا .
وقد مات مصاص .. قالت ها . فسوة أدر كنى منعتي الدمع . وفى
لدمع راحلو أصدت إليه سسلا . فما سمعت نساء احى يندحس
وعلت أصرا تن أجاها الدمع . فكنت وأثأت تقول .

أيا موطن الموت الذى فيه فخره . سقتك عوادى الساريات الموامع
وياسا كما بالدوحين معيا . لأن طرت عن إلف فالعك تابع
قال الحرمى . وآت على نفسها أن لا تشرب ماء . فأقامت
يومين وليتين . فما كان اليوم الثالث ولا أحد يعلم بها غير سلى
غشيبها الموت مع الليل . فوالت إلى الربوة وأدعتها سلى . فلما بلغت
أعلى الربوة سقطت .. قالت سلى : فوضعت يدي على فها فوجدته
كالبحر الصلد . فرفعت رأسها إلى اسان غليظ . وصوت حنى .
وقالت بكلام ضعيف لا أكاد أتيه . (قولى لآنى يدمنى بالدوحين
بحوار مصاص) ..

• • •

أحب أن قصة (مصاص وى) التى نقلتها إليك من كتاب
وهب من مذهب كالمسؤول خاتمة أمم ندين رعموا أن العرب
لم يعرف من صور الحب إلا حب مادة المحسنة ، وأنه لم يعرف
من المرأة إلا مواضع الإثارة الجنسية فيها دون ما يتعلق بالمرأة
كروح ملهم ، ولا بها كمر جميل عفيف .

وأحب أن الذين أحذروا من شعر الجاهلى ، أو معنى أصعب ما حذروهم
من هذا الشعر ، صورة مرأه فى الجاهلية يحتاجون إلى قليل من النظر
فى هذه المصه وأمنائها ليدركوا أن ثمة صورة حادعه لا تمتن الحقيقة
قد رسبت فى أذهانهم . .

وأحب أنهم لو قرؤوا هذه لقصة التى رأى من عصر جاهلى
تحقق قصص متأخرة كفلس ولبلى وقلس ولى ، بل لو
قرؤوها بقصص جاءت بعدها فى الزمان حتى دخلت فى وقت
العصر الأموى كفصه جميل وقصة كثير ، لأدركوا أن ما يعبرونه
عن حب العرب ليس مرأه لا يمثل إلا حاملاً واحداً من جورب عاطفه
العربى ، ولا حسوا أن الجاهلى الذى نظروا إليه طرتم إلى بدوى
جاهل حش أقرب من التوحش ، هو وحده لا يمثل إلا حاملاً
واحداً من حياة ذلك العصر ، وأن هناك حاداً آخر أهملوه حتى
وهم يرون صوه وصحه جلية فى تلك المنش لرفعة من الحب لعفيف
والهوى اخلاق الذى يصل إلى درجة من الرفعه واسمو قن أن
يحد نظيرها فى غير أكثر الأمم عرافه وأصالة .

وقصة (مصاص ومي) بعد هذا كله ، صورة إنسانية باصة
 بالحياة في معطر الآداب العالمية فأتت تراها في (روميو وجوليت)
 وأتت تراها في (بول وفرجي) . أعني أنك ترى الخصائص العامة
 المشتركة موجودة في كل الآداب العامية ، ولكنتك هذا لن نخطئ
 الخصائص العربية نتحكم في أساليب القصص وشخصيات أبطالها
 وطريقة سير الأحداث فيها . ولأمور في هذه القصص تسير في
 وصح أسرار ، في شجاعتها وقوة لاسكار تخونها في مثيلاتها . فحينما
 يلج هو في مخدبين مبدعه يدهان من دورهما إلى الملك حيث
 يقصان عليه قصة هو ، هما في صراحته وجرأته . والملك يرسل إلى
 أبي الفتاة يسأله رأيه . ويستقر الرأي عند الجميع على رواج الحبيبين
 كحل سعيد سليم . فليس ثمة حقد ولا ستار ، وليس ثمة خوف
 أو ظلام وإنما وصوح تبرده له الحب وعذريته

وحينما ندخل المصادفة التي لعب دورها في قصة التحول من مجراها ،
 أتت هذه المصادفة على أسس من ظروف المجتمع العرفي ومعتقداته
 ومثله ، فظهر حب أو لشهر لأصم يقبل ويعرب لا يعرفون فيه
 غير العمة وانطوائ . وهكذا بدأ حل الرواج أولاً ، ثم تحدث
 القطيعة ثانياً . ولا يخفى على من يرى حسب ذلك أن تراها وهو
 يطوف وتخرج إليه في الطوائف ترعه من بعيد ، وتقبل فتاة أخرى
 تطوف وتعطش وتطلب منه أن يسقيها ، وتعاري ويعشى عليها .

فالمصادقة إذن ليست عفوية وإما هي مصدفة تتحكم فيها إرادته
 أخرى ، لعلها إرادة الآلهة من جعلو من رحب شهراً أصم ،
 ولعلم ، مرادة القمر أو لفوه الكبرى التي تدخلت لحظة تمقت
 إرادة لشر على إسعاد احبيبين حين اتفق اجمع على هاية
 سعيدة لفتة الحب يحل خفة شهر رحب كاهن يمنع هذا لرواح
 شهراً كاملاً ، يترك فيه احبيين تحت رحمة تمام ، وتحت رحمة
 قوى لشر تفرق بينهما

وبس من يحب أثناء الطواف أن يعطش (رغبة) ، ثم ليس
 من يحب لعريه من أسرة أسيا - مكة أن نخشم أن تعف لأهل
 السقاية وسدة لبنت ، ثم بس من يحب حين يرى (مصاص)
 يطوف أن تسأله حرقه ماء ، فهو صميم وهو من بيت كبير ، ثم هو
 آخر الأمر أحد أفراد هذه الأسرة السيدة وقد يمر كل هذا في
 سهونه وبسر دون أن يحس أثره عند (ي) لولا أنك تعلم من
 كثير من القصص - بل ومن بعض الشعر ، أن الطواف كان عند
 الكافرين من شباب الحاهية مجال لقيا المحبين ومناجاتهم من بعيد ،
 فلا يحب إذن أن يعار (ي) وأن تسقط معشياً عليها وقد أصاب
 قلبها سهم العيرة فالمصادقة هنا ليست عفوية وإما هي تكاد تبني
 على أسس سليمة من واقع حياتهم ومعتقداتهم ، والإرادة التي

تدخلت هنا لتبدأ عهد القطيع من الحبيس وترسم العاجمة التي
 ستسهي قصتهم لها إرساط كبير بأمة العرب وتقاليدهم الديني .
 وكما تدخلت هذه التقاليد العربية في رسم إطار العاجمة فهي تدخل
 كذلك في دوافعها وتطورها ، فغيره (م) ليست عيرة محبة على
 حدها وحسب ، وإنما هي عيرة عربية من عيرة مثلها ، غير
 لها علاقة بالأحباب والأساس . وسمعتها تحكي لأبيها قصة وقول
 له - يا بهر مصاصا ابن عمي دعا فلي وأحبه قلب أحابه قدوى الهوى حلف
 الموى ، رأيت يه يلاحظ رقيه من الهول وسقاها ماء وفاروق روحى
 جسمى بأسرع من طرفه عين . ثم تدركت أمرى ، ورأيت أنه
 بدل حبها بحسب وخطر أعظم ، ولم يلبع والله خطر الهول
 مهيل من عامر ، ولا رقية بنت الهول ميا بنت مهيل من عامر ..

فالمسألة لا تقتصر على حب وعرة ، وإنما هي تتعداها إلى
 مفاضلة بين الأنساب .. ومى حين نعال تستدعى في الحال عصبتها
 الجاهلية ، وتعقد المقارنة بين مكانها ومكان رقيه ، وبين مكان
 أبيها ومكان أبق رقيه .. وهذا تصبح عصبتها عصبية محنة مهجورة ،
 وغضبة عربية تتعصب لحسبها ، وتحسب أن مكانها في المجتمع العربي
 قد أهين حين فصل حبها عنها فتاة أخرى بعد لها حساً ورساً ..

وهكذا تتجمع العوامن بعضها ببعض من طبيعتها كالنساء

تحب وتغار ، ونعصها يبعث من طبيعتها كعربية تنور سكر امتها
 وتعصب لمكانها وحظرها . . ثم تأتي لعاص لثالث الذي يدعى البار
 ويصل بالملاحعة إلى قتها ، ذلك هو الحقد الذي ينفث سمومه . .
 فطبعي أن فتاة كمي لها أكثر من عاشق يحبها دون أمي ، ومن
 الطبيعي أيضاً أن يكون أحد هؤلاء العشاق (وب) الذي هو
 من رهط حقير في حرم ورو (ع) في الطوفان يسعى على يراها ،
 ورأى ما حدث كله ، واستغل حقه وصعبه يمسح قصة واهمة
 يدحها على (ع) ليزيد من نار العيرة ، وتشمل طيب العصب . .
 فهو يدس عليها حكاية حب موهوم ، بل هو يدس عليها شعراً
 غزلاً ينادله حديداً (مصاص) مع (ربه) هذه التي سبقها في
 الطوفان . وكانت (ع) كما رأينا في حالة مسية تساعدها على
 تقبل كل ما يقال لها . وهكذا يصن الأمر إلى نهايته وتعصب
 العصابة الكبرى التي تعزم بعدها على الرحيل بعيداً عن مكة وعن
 جوار مصاص ، وهكذا أيضاً يعصبها أبوها فيحرم الرحال
 مفادراً المكان الذي أهيب فيه إبنه .

وحين يبلغ الأمر حديداً مصاص يركب فرسه ويأخذ سمعه
 يريد قتل قبس ولكن فيباهرت فها من ، والقصة لا تلحق به
 عقاباً ، فهو واحد من أدوات ، وينسأحظر الأدوات التي استعملها

القدر ليفرق بين الحبيين .. وهما — على أى حال — لا يواجهان
هذه القوة التى تحيك حولهما المأساة بقوة مادية ، ورمى هى أشياء
تتعلق بنفسيهما وما اطلوتا عليه من حب ..

ويلقى (مصاعير) (ميا) ويحاول أن يفهم الحسكية، وأن يفسر
موقعه، وسكها لا تسمع .. بل مرحت عصي ونمادى الخي من حلة
ومضوا وافترق الخي من سفع الخبي ، . وهنا شهد صورة عريية
ملحها تتردد فى الشعر الجاهلى نصفه حاصة . فصا صبير به
ويركب ناقته فيدعه حليلا من مبي عمه ، ركبا فى إثره حتى حقا
، فقال له يا مصاص خلعت تاج اميك لعلك الهوى ، قال لها
غلب اهلل التجلد والخرع الصبر ، والهوى حاكم والقلب محكوم
عليه فسارا وراءه يستمعان شعره معا ، ويرميه وهو يلحق برك
(مى) ، ويتعرض لركبها محاولا أن يثب عليها عن رحاها فيعش مره
أخرى .. والخليلا هنا صورة من صور المجمع العرقى . أو هما
صورة من صور شباب هذا المجمع ونحن منع وجودهما فى مطلع
معظم القصائد الجاهلية إذ يحطهما الشاعر دائما يشكو لى الهوى
والبين والمراق . وربما نعت فكرة الخليلين هذه من هذه
الأسطورة صادات ، وربما كانت شيئا صميا فى حياء الشباب
العربى كما قلنا . على أية حال : افقه حليلا هذان وهو يقسم أن

لا يشرب بعدها ماء أبداً ثم يرقب موت واحد أو أحدهما رأسه في
حجرة حين يموت . وعما بعد يفتلا ما قال من شعر وما همس به
ساعة مات .

وتنف وقعه ثوبيه عند هذه الوسيلة التي اختارها للوثة أعى
العطش .. واختير هذه الوسيلة أو لا تنفق مع طبيعة البيئة العربية
الصحراوية اتفاقاً تاماً ، وبكاد يبع الصدق الفني في هذه القصة
دونه عندما يجمع العطش محور (تيسى في الفاجعة .. فالعطش
هو الذي جعل (رقيه) تطلب الماء من (مصاص) وترأى (مى)
والعطش هو لعقاب لدى فرصة (مصاص) على نفسه . وحين
يعود (مى) وتعرف أنها كانت واحدة فيما للمهاجرين (مصاص)
وبها نوب عليه وطنته فهي لا عار لـ (امطرش) يموت نفس
ميتته ودفن في نفس مكانه

والماء يلعب في حياة العرب دوره الحقيقي ودوره الرمزي ..
وهو حقيقة ملهوسه تغير به حياة حين ينظر به الرحلة وينضب
دماعه من ماء ثم يثبث على الملأ وسط الصحراء القاتطة
الحرداء . وهذا هو الروح والجود حين تنتهي به الرحلة
في واحة أو قرية أو مصرف خيام يجد عنده حاجته من الماء ،
ويجد عنده حاجته من الأمان . ويحقق عنده هدفه من رحلته ..
من حيث الحياة عروى السوى كها رحله من أجل الماء ، يعيش هو

عليه ، ويجد عنده السكالا لما شفته زعاه .. وهو حين يجده يستقر
به المطاف ويحيط به الرحمن . إلى أن ينصب فهو يقو ص حياته ويقود
أغنامه بجشا عن ماء جديد . فالملء عند العري رمر لأشياء كثيرة .
وهو في هذه القصة بالذات رمر للأمل الذي تحطمت عدد صخرته
حياة حبيير ، صنع عما بقدر وطبيعة أحياء العربية وتقاليدها هذه
الهدية الجامعة . وحين يموت مصاص عطشانة يرمر إلى ما أحقق
فيه من بلوغ لأمله وهدفه ، وحين تموت (مى) عطشا إنما تشير
إلى ما ملأ حياها من حزن وحسنة وإحسان .

فانقدر العري لدى جعل من حب شهر آ أصم بدأ فاحقة .
والطبيعة العربية إلى جعلت من العطش فاحقة تحظر حياء العري
أهت القصة .. وبهنا يقف الأنسا العري شهدا لا يملك إلا الحب
والوفاء .. ومأساة العري هنا في عثته عن التمار ، وعثته عن
الاستقرار ، وعثته عن الحب تصيح في حلات لا تحسه مصاصين ،
ولا يخفيه ما يدور على ألسنة أصص هذه المأساة من شعر أو حمار

أما شخصيات القصة وما دج بشرية تلعب بها يد القدر ، والسكالا
أيضا بما دج عريية لها سماتها خاصة ونفايدها التي تحكم في حياها
(فى) القصة إلى الحب في عفة ، ورواحه حب في شجاعه وصراحه
يصل بها الحب إلى حد أن يخرج في الصواف زوف حياها من بعيد
تمتع برؤسه عينيها وقلها ، فتسم سلك صورة من الحب الحريف

اعقب الذي لا يعرف العبر ولا لغة ولكنهما حين تصطدم
 وهم الحياة ، وء عربة لا تعرف أسم عن شيا حتى ولا الحب ،
 يعش على وسط احيح ، ثم هي رحلة لا تنت عن المكان الذي
 أهست فيه كرمها ، ثم هي معرصة عن توسلات حبيبها وشعره
 وأفكاره ، هي موهبة كل لقوة حين تحس أن كرامها في ايزان ،
 وكر متابعها ترحح كل شيء حتى الحب ، ثم ترح لعشوة
 عن عبيد قرب هي صديقة كل نصف أمام حبها ، إذا هي تسعى
 إلى مكة ، ثم نسمع خبره وحده حتى تهرب الذموع من عبيد اثر
 صدمه لقده ، هي أمه حب تصحى بكل شيء حتى بحبها ، وهناك
 إلى حرم رقبه حبيب ثوب عطش ، كما مات في عربة واصر روفاه ..
 هذه الصور التي كما ترى تحب فيها عواطف المرأة تتألف
 العربية حذو كين تحقيق لها أصبه وقاء ، وصورة فيا حقيقي .
 وما فسد على (هي) لقوة عن مصاص (فهو) حب عفيف لصون
 من دعر حبسه ويسع بحر حبه من عشت ، ثم هو يصنع لتقاليد
 العرب فيستلزمه راءه ربح ، فإذا ما علم بأمر قيس أحد سيفه
 ليتنه في عزم لعرى وعشته ، روفوة وروسية صادقة ، ولكنه
 أمم من حب متجادل ، معها كين الحب ، يحكي لنا قصة وفاته ،
 وثاني أن نسمع ربه ، وثاني غاية شرفه وثاني عليه أنفته ، إلا أن
 يثبت لها صدفه ، ثم هو حياه بسب .

ومن هذه القصة تستطيع إذن أن تخرج بصورة متكاملة للحق
العربي والتقاليد العربية لعلها تحث على حد كبير عما أصر عليه
الدارسون من صورة مشوهة باهنة

ونظرة إلى حوار هذه القصة وما جاء في من شعر نهر من لك
في وضوح أن لغة الجاهل لم تكن تتجلى وقعة وعاء .
ستقول إن هذه القصة دوت في عصر متأخر عن حدوثها المحدث .
وأقول لك إنها دوت في العصر الأموي على أقصى تقدير . فكأنها
نفسه قدماء في عام ١١٠ هـ كما نعلم . فعصر السنين قرب جداً
من العصر الذهبي . ومنه نكاد نكون أقرب إلى اللغة الخاهية
من لغة الأساطير . ومن روى الشعر الجاهلي والحكمة الخاهية .
ومن أتى أعمى من هذه اللغة هي لغة حرب في الخليل . ومن أعرج
أبه كانت هناك لغات . إحداهما عروية . وكأنها من أساطير
السحرة والعرب . وثانية هي لغة لغة سحرية . وهذه الشعرية هي
عروية أساطير القصة . وأعمى أن شاء الله من لغة الأقرب إلى
أن تكون هي لغة الاستعانة . وهذه القصة هي لغة
عربية التي نقلها إلينا الشعر أو سطر . من الخطب وجمع السكك .
وأحب أنها لغة مصوغة متكيفة تبعدها أصحابها لغة . وينصرون
لها قصداً . فعدت عبداً على محاذات . ومن كات ولا شك
ليست لغة الحياة العادية . كما أنها ليست بذات نصير الفنى لهذه

اللغة . لأن هذا المظهر انتهى بفتح في هذه القصة وغيرها ، وإعما
هي أقرب إلى أن تسمى بمظهر لصاعي لتجريد هذه اللغة . و الفرق بين
المن والصناعة .

ولقد فأحب أن قصة مصر ومي لم تنقل إليسا في كتاب
التيحال كاملة ، بل أحب إليها اختصرها أحضرأ ، فأنت تسمع فيها
مر صاع كثيرة لحوار نروي رواية ، بينما ترى من سرده انه
استعمل الحوار في أكثر من موضع . وسأعود لك إلى جزء من
رواية وهب بقصة فهو يقول .

(قال أموها . ثمانمائة ؟ قالت له . نصف علي صدعا لن
لنم بعدها صدعه . قالت يا أمها إن مصاصنا ان عني دعا قبي وأحابه ،
فلما أحابه قدوى المربي حلف الذي . قالت له . أيتها يلاحظ رقية
ست البهوان وسقاها ماء . فقارق وحي جسمي أسرع من طرفة عين)

فأنت تراه هنا يذكر نصف الحوار دون أن يورد نصه الآخر ،
ولا ريب أن القصة كاملة يتكامل فيها الحوار ، وتحكي ردود أفعالها
عليها كاملة . وحيث تعرف أنه لا يقصد إلى يراد هذه القصة قصداً ،
وإنما هو حكاه وبسط حكيمته عن الخرافات من مصاصن الحرهي
وغربته الطويلة . والواقع أن جزء كبير من حكمة هذه القصة
التي يعود إلى الراوي نفسه . فالراوي روح هائمه في الحرية تسير

في طريقها الى الموت بعد عربة ثلاثمائة عام فالحوادث المدمرة التي تسرد
 فيه القصة كما قتلهم يوحى هذه الهبة الفاحشة، بل كما يرد الى هذا
 الذي حاولنا أن نستخرج من مصرع العاشقين، لعشش يرد الى
 اصياع .. فكأنما قصة مصاص ومي تكمن طبيعة قصة الحارث
 الذي صاع في عمره الطويل بين حس الحيرة وفلواتها الى أن سبق
 لإياد من رار، وهو يعود يانه الى مكة فيحمله في حبه الهيبه .
 رحلته الى القبر الذي سد حبه باحتساره ، لأن أحله قد حان ثم
 يموت . وفي الطريق يمر على جبل أو قيس وموطن الموت، فشرح
 لإياد قصة هذه الأسماء التي أضعت على هذه الموضع فتكون قصة
 مضاعف ومي ..

(الحارث بن مضاض)

والحارث بن مضاض هذا هو آخر ملوك جرهم المتوحين
والصياغة هكذا قصة يرونها كتب البيهقي على لسانه وأروها لك
بقليل من الاختصار والتصرف . يقول موجه حديثه لدليسه إلى
مكة بإياد بن رار :

كسبت منك مكة وما ولاها من الحجار والتهام إلى حمير
والأعمير وحصر العالمين إلى مدائن ثمود . وكان الملك قبل أبي
عمر بن مضاض . وكنا أهل نيجان . وكنا نقاتل الناح يوما على
رؤوسنا ويوما على الرئاح ناسيب العتيق . وأتى رحيل من
بني إسرائيل . بدر وياقوت . تاجر إلى مكة . وشترى أبي
ما أتيه من بدر وياقوت . ومضض أحمى لناه وراديه لعقيد
والدر وياقوت وحمله كالحجر . . وغيب لإسرائيل أحسن
ما كان معه من الدر والياقوت ثم عرّضه على بعض الناس . .
فأتى حردك بن أمك فأسال إلى الإسرائيلي وأتيه (وقال له)
لم عيبت على عتيق ما معك وبعث لي عايته . ألم أبلغك أمك في
درك ويهونك . (قال) نعم أيها الملك . (قال) قد حدث على
ما فعلت . (قال له) لإسرائيل : هو مال أيها الملك . أبيع منه

ما أحييت وأحس منه ما أحدث . فعصب عليه الملك وأمر به
 فزوع عنه مأمعه من در وفاقوت وكان يسرا . وورصد الإسرائيلي
 الذي يحمل التاج إلى البيت يوما لعلقه على رتاج البيت العتيق .
 فعمد إليه لإسرى ثيبي فقله وأحد لتاج . وركب نجيبا وهرب . .
 وأصبح الناس لم يدروا من ذهب التاج واشتبه عليهم لأمر حتى
 أتى الحمر البقيين من بيت المقدس . فأرسل الملك عمرو إلى
 بني إسرائيل بأمر ملكهم فاران بن يعقوب رد التاج وبأخذ منه
 كفاف حقه وبطل له الدم الذي أصاب . وادعتى الملك دارلة
 وندم عليها . . وأتى عليه فاران . فأرسل إليه عمرو أن التاج
 يعاق على البيت العتيق بمسكة . ولم يحمل في ذلك التاج عصياً قط
 ولا عاتولا . فأرسل إليه فاران أنه ملعه على بيت المقدس .
 فبعث إليه عمرو يقول إن الله هو العلي . فمن نسلب بيتاً لبيت .
 فقال فاران نحن أهل كتاب أعلم بالله منك . فأرسل إليه عمرو
 يقول . أعلم الناس بالله من أطعته ولم يعصه . ولم أرسلت يسلب
 بيتاً وسكن ملكاً يسلب ملكاً .

قال الخرمي نخر حنا إليهم في مائتي ألف . حرهم في مائة ألف
 وعملاني في ستة ألف وبصرنا الأحوص بن عمرو البغدادي في
 خمسين ألفا . واستنصر فاران بن يعقوب بقومه من الروم وكان
 صاحب أمر الروم شديد بن هرقل فنصره في مائة ألف من الروم .

وخرج بنو إسرائيل في اثنتي عشرة ألف ، ونصرهم أهل الشام في مائة ألف .
 قال الجرهمي : والتي الجماع عند هذا الجبل . . فنادى أحي
 عمرو على بني إسرائيل وطلب منهم أن يبرز له ملكهم فيتبارا
 فأبهما قتل صاحبه كان له الأمر على ما يمش . وبرز إليه شيف
 ابن هرقل فاختلفت بينهما طعنت . فطعته عمرو فقتله . ثم أرسل
 عمرو إلى فاران أن اعطني ما تعاهدت عليه مع شيف فأرسل
 إليه فاران يقول أعطيك ما تشاء من أموال أهلها إذا عدت
 عليها . فأرسل إليه عمرو يقول ما أشبه أول طبعك بأخركه ،
 وقد أوعدتك أنما لا غرأ

قال الجرهمي : وفي بعد ههنا إيهم عمرو ، فنصارنا طويلا
 فخطمناهم بالسيف حط ثم كانت لنا عديهم الدائرة فقتلناهم قتلا
 دريعا . وأدرك الملك عمرو فاران . يعقوب على تل فقلعه .
 ثم مضى في إثرهم إلى بيت المقدس فأدعوا له بالطاعة وأتوه فتح
 الملك فأحزنه ، وكانت فيهم امرأة حميلة يقال لها برة بنت شمعون
 لم يكن مشها في وقتها من سبط يوسف بن يعقوب ، فأرسلوها إليه
 فحكاه في أمر رجل بها وقد بنت حديقها وحظها ، فبارأها عمرو
 الملك فترها فترها ، وكان ذلك مكرامهم له . فلما خلاها
 (قالت له) له الآن وقد رصبت هارصني . (قال لها) لك رصاك .
 (قال له) ارحل عن قومي ولا نصرهم فقد تشجعوا إليك في
 (قال لها) لك ذلك . . ثم رفع عنهم . . فسار حتى سغ مكة ، وكان

فقد سار معه مائة رجل من أسكري إسرائيل و هب به بالولد والعيال
على السمع والطاعة من قومه . ثم رل بموضع يقبل له (أحياد)
فعمد برة بنت شمعون امرأته إلى حكه من حديد وسمنها ثم
ألقته في فراشه عند منامه باميل . وأعدت بحا ورجالا يردوها
إلى بيت المقدس . فلما أتى عمرو الملك معه في فراشه شخته
الحسكة ودخله لسم ثمان . وهرت وهر سمعها لمانه لرجل الرهاق
قال الحرهمي . : أحدثت فسان جرم وعملاق وبلغت تفران
أنظرم فيما أتوا أحدثهم وأحدثها ورحمت هم وها إلى مكة . .
وأصبت عمروا وقد تناثر مفاصله من السم خفرت له صريحا
وواريته . ثم أمرت بالمائة الرجل هدموا إلى السيف . ثم أخذت
برة إلى سيف فقالت : جددت في مجلس الملك . ودخل إليه يقب
بنى إسرائيل ففعل ما رأيت ولا أعلم بذلك . وكيف أفعل ذلك
وأنا مثقلة منه . . فأمرت القواديل فأصابوا الحمل بيما . وكان عمرو
قد مع الولد غير ندين . فلما عرف أنها تحمل منه علت على
الشقيقة فأدحلتها داخل القصر وجهات عاها حرسا حتى وصعت
حملها فأنت علام سمته مصاصا على اسم أنى وحده فشب قم يكن
في وفته أحمل منه وحها ودرت أمرى في قتل برة . فقلت أقتنها
لا تم على نفسي ولدها . ولكن أترك أمر أمه في أيه إليه .
ومصاص الصغير هذا الذى قتلت أمه أباء هو صاحب مصتنا
التي حكيت لك .

قال الجرهمي : ثم وليت الملك مملكة وتوجت ، ورجعت إلى
بنى إسرائيل والروم وأهل الشام فخرحت إليهم في مائة ألف من
جرم ومائة ألف من عملاق . فقاتلهم فمهمتهم وكانوا رخصوا إلى
تأبوت داود الذي فيه السكينة والربور . واقفوا فأحمدته جرم
وعملاق ودفعوه في مراكب من مراس مدينة مكة فمهمتهم عن ذلك
فمقصوف . وسأهم عن ذلك هميسع . بنت بن اسماعيل بن إبراهيم
صلى الله عليه وسلم فدفعوه ، فعمدت إلى التابوت لبلا فاحرجته
وجعلت لهم مكانه تابوت ودفعته إلى هميسع .

وبعض كتاب التيجان في هذه الأسطورة العربية فيقول : وكان
التابوت عند هميسع وكان عنده بتواريثونه وأرث عن ورث إلى
رمان عيسى بن مريم عليه السلام فانه أحده من كعب بن لؤي بن
عالم . فمهاككت جرم وعملاق وعما وسوا جميعا ولم يبق من
عملاق الا عشرون رجلا فكانوا مؤمنين على دعوة اسماعيل مع
هميسع . وثمانية رجال من جرم مع الحارث بن مضااص الجرهمي .
فسارأى الحارث قومه هلكوا ، ترك الله عمرو بن الحارث بن
مضااص الجرهمي عبد الله هميسع وخرج هاربا يجرى في لثا صها
وعما ووحشة لما نزل بقومه . . وتعرب الحارث بن مضااص
ثلاث مئة عام .

• • •

اليهودى الثاثة وقصة الهولادى الطائر وغيرها . بل إننا لنرى منها
صوراً فى الرواية العربية نفسها . وعلى فى الرواية العربية تأتى
بأكثر من دلالة . سليمان السى الذى دله الأتس والجن والطير
واوحش تخرج له الحيل الخصر من البحر فتعجبه ويقتبها ويطل
يتأملها ويرت على أعناقها وسوقها حتى يسيه السسح والتهليل .
فقد ذكر الصلاة وللمسيح أمر بالحيل الخصر فعقرت . ثم سارت به
لريح حتى بلغ ندمر ، وكان الخاتمة نور يقوم بين السماء والأرض
فيردحم عليه لطير فى الهواء على رأس سليمان . ثم أن حاتم سليمان
سقط من يده فذهبت لصير وسكنت الريح لما أراد الله أن يرى
سليمان ومن معه من المؤمنين أن لديها وما فيها إلى روال . ثم سلب
الله سليمان ملكه لينتبه ، فلما سلب ملكه عم أنه ما سى من ذكر
الله ، فخرج هارياً بحول فى الصياح وتنصرع إلى الله . .

قصة سليمان هما تدور حول الصياح أيضاً وسكها تعمل فى
طياتها دلالة الاستلاء ، وهى تشير إلى قدره الله الى ليس ورقها
قدرة . وعظمته التى لا علوها عظمة . سليمان رغم كل
ما سحر له من مخلوقات الدنيا لا يستطيع لنفسه بعداً ولا
صراً . والقصة التى يهدى بك من كتاب التيجان تشير إلى أن
شيطاناً ساحراً قد حن مكان سليمان وحده وريه وأهل بيته
وطن يحكم مكانه إلى أن رد الله إلى سليمان ملكه فقتل لشيطان

الساحر وعاد إلى مكانه .. فهي إذن تجسيد قصصى لقدرة الله على المنح والعطاء . ثم على لأحد والحرمان . ثم على إعادة ما أخذ وقتما يشاء .. وهي إسلاء ملاحظ ، احتبار ، احتداد قوة إيمان سليمان ، واحتبار أثر هذه الحمة الكبرى التى منحها الله أياها وهى آتية لإيمانه وألهمته عن عادة ربه .. وسكها ما تزال رغم هذا كله . ورغم المصنوع الذى تملكه . ما تزال ترمز إلى مأساة الإنسان العاجز القاصر أمام قوى أكبر منه وأكثر خطورة . .

إلا أن مأساة سليمان لا تكتمل فسرنا ما نعيد إليه القدرة ما سالت . فهي إذن حمة مؤقتة ، وهى بالتالى لا تحمى ما فى قصة الحارث الحرهمى من معنى الصباغ والعجز الكامل إلا بمقدار ما تثبت قضية معينة . أما فى قصة الحارث فليست هناك مثل هذه القضية التى تحتاج إلى إثبات . إيمانه فى حد ذاتها قضية كاملة . . قضية الإنسان أمام القدرة . .

وشبهه بقصة الحارث هذه قصة قيس بن رهير ، أوقيس الرأى فى رواية عشرة بن شداد التى أتى بعد هذه القصة بأكثر من قرن .. يدعى قيس وقد أحاط العرب به وبقبيله من بني عيس تريد أن تأخذ شرايتها من بني عيس على ما فعل بهم عترة قبل موته ، وقيس وقبيلته يذودون عن أنفسهم إلى أن يفسدوا ، فيهرب قيس ومعه نفر

قليل كل إلى جهة ، أما قيس فيظل نائها في الجزيرة أعواما طوالا ،
 إلى أن هود سى عرس عزم بقوة أولاد عنتر ، وحين يحاول العودة
 إلى قبيلته يموت بجحولا في الصحراء على أيدي بعض قبائل العرب ..
 وهي مدن قصة نخس في طياها أيضا معنى الصياع ، ولكنه ليس
 صياغا أمام سطوة قوة بجحوله غير ملبوسة ، وإنما هو صياع ولدته
 الحرمة أمام قوى شره معروفة . وتم بعد معركة طاحنة أبي فيها
 قيس بن زهير ما وسعه الصمود ، ثم هرب بحياته يبطل هاربا حذر
 الموت ، وحذر الثارات التي تتبعه . فهي إذن ليست لعنة محوثة
 المصدر . بجونه السلاح ، ولكنها لعنة معروفة ، لأسباب ، واضحة
 في سلاحها وبانجها ، ولو أنها أحر الأمر تشبها في دلالها مع
 قصة الحارث الحرهي من حيث تصوير الصياع أيا من العاشر ..
 وسنطيع أن نرد ما فيها في فروق إلى اختلاف عصر وجود كل
 قصة منها . فقصته عامة كما نعرف من القصص العربي المتأخر
 ربما ، ولدى كتب بعد أن صرب العرب في الحياة من حولهم
 بأكثر من سهم .. فكان من الطبيعي أن يبحث القاص عن العنصر ،
 وأن يبحث لأسباب ، وأن يمتطي لأحداث ويقرها من الإلهام
 والواقع ما أمكنه . أما قصة الحارث فهي قديمة فمما ما عرف
 العرب في صدر الإسلام من أساطير ، فلا عجب أن استعنت فيها
 القوى العينية ، لا تجسيد ولا تعبير .

وقصة الضياع في حياة العربي ليست ظاهرة غريبة ولا شاذة،
 حياة العربي القسوة أمام قوى الطبيعة المحيولة كهيبة من تحسد له
 ضعفه ونفادته وحقاره وقوته، أمام جبروت هذه القوى التي
 لا تقاوم. والعربي الوحيد وسط رحل الصحراء يتبس طريقه
 بما يعرف من معام قد تشوها يد الأحداث، فبعد طريقه ليجد
 شيئاً صغيراً وسط الخصم الراس حول له من قوى طبيعته، لا شك
 أهدر الناس على لإحساس هذا المعنى من غير أن ينال العربي
 الأمر حول، يبيع ماء يشرب منه ويسقي غنائه في صراع مرارياً ونجماً
 غنائه، سرعان ما يمتدأه قوى الطبيعة، حنقه من الماء وانهائه، ويشد
 رحله في يأس تحشأ عن ماء حديد مستقر حوله من حديد، وما أحسب
 إلا أن رحلته اندثمة هذه حشا عن "الكبر" والمريع يوخ من الضياع في
 حروف الصحراء الضخم الذي يتلمه ويتطلع معه من ماء وأه في ..
 ونقلات القدر في حياة العربي كثيرة ومعدده فهو معرض
 للعرو يحيل الأحرار عبيداً والمحصباء إماء .. ثم هو معرض
 للحماف يحيل غناه فقر، ورحته وأمنه وقفا واضطرراً،
 وهو معرض للحبوان المفترس في كل خطوة بخطواتها، بل هو
 معرض للطبيعة المهرسة في كل خطوة أيضاً، واحصاء المدن
 والحصانات، واحتفاء القلائد وقراصها شيء كثير الورد في
 أساطير العرب، فقد ياد عد وثمود، وبنو صهم وحديس، وبنو

إمام ذات لعمري . . . وهدت أمه تلهم كرم وعملق . . . والأسباب
كلها محبوبة . . . يقولها العرب في كل حين ، عذيت الرمن . . .
فان من أو قدر ونة بحبه تلاحق العرب في كل حياته ، وهو
دائما في صرع صدها . . . به ية صاها لعباده مظاهرها وتقدير
لها . . . استشارها في حده ، يحاول أن يتدس مصيره من خلال
أن يظهر من مصيرها . . . فعرف عنه اضيود و بشاؤم والتعاؤل
والجرب . . . القدر . . .

وكان من الطبيعي أن يأخذ موقف العربي من هذه
القوى مظهر للاسلام . . . وهو أبدا لا يجد من سطرتها
هكاكا . . . ولا يستصع حتى في أحلامه و أساطيره أن سمرد عيب
أي لون من ألوان العرب . . . إنما هو يستطيع في أحلامه وأساطيره
أن يجد من هذه القوى أعيبه في حيرة مستعدة في التعلب على
لغوي إلى هدم حياته . . . فصره الحق لمؤمن وأحق الكافر . . .
كما يستطيع في أحلامه وأساطيره أن يعر لنفسه نوعا من القدرة
على توجيه هذه القوى . . . من توجيه نفوس عبيده أخرى بمحولة ،
فصيرت في أساطيره حكايات السحر والسحره ، والفلأسم
والأزعماد . . . ثم ما . . . بعد هذه الأشياء . . . مزال يسور في
دوره لافكا . . . منها . . . سم هذه . . . استسلام لصاعر . . . لا تمرد . . .
من هنا كان من الطبيعي أن يحس قصة تضاياع أمام اقوى
لح قه و . . . دها . . . حصوا . . . عا مكا فاهم . . . في الأساطير العربية . . . ولعل

أكثر هذه الأساطير نجسداً لهذه الفكرة وإبانة عنها هي أسطورة
الحارث الجرهمي لثائه في الجريده ممتب من الأعرام فإن صياع
الحارث مرتبط ارتباطاً كبيراً بصياع حرم كتابها... ولتعيين
الأسطوري يكاد يحاول نفسه سر حتماء حرم وعملاني يحاول
أن يهتمهم هم لا القدر ثم يحاول أن يفسر أسبابا غير ظاهرة
لمشكلة بلحها هو ظاهرة أمام عينيه ، وكانت هذه الأسباب في بعضه
الأسطوري هي الخطيئة التي أحطت عليهم لعنة ، فمن يحتاج
مصاص الجرهمي مع بني إسرائيل لسبب ماخ الذي مر فيه إمرأته
من الكعنة وبقه إلى بيت المقدس ، يحتمل لإمرأته أمامهم
تأبوتاً به صحف (الزبور) . وكانوا قد تعودوا أن يحملوا هذا
البأوت أمامهم في كل معركة ، فتحمله ملائكة ونهرم أعداءهم .
إلا أنهم في هذه المرة كانوا قد عصوا بهم ونسوا كتابهم ، وأدخروا
على صحفهم ما شئوا من كلام ، فبما حملوا ، ونهزم أمامهم لم يعصم
فتيلاً ، وانهزموا أمام حرم إلى أذاب فيهم السيف واستولى
الحارث الجرهمي على لتأبوت إلا أن حرم في سورة نصرهم
يلقون بالتأبوت في معركة... ونجح لعنة ، ويحاول الحارث أن
يقنع قومه أن يرفعوا لتأبوت ، ولكنهم يصرون ، ويتقدم الحارث
ذات ليل إلى مكان التأبوت ، ويرفعه في حفيه ويضع مكانه تأبوت
مرهاً... ولكن اللعنة كانت قد حطت و انتهت لأمر ، وبدأت

لامة حرهم فبق منهم إلا القليل ، أما لحاث نفسه فيخرج هارباً
 إلى ححرهم لجريرة يسوء من ماله ، فكأن المسألة هي محاولة
 إيجاد مخرج لما حل بحرم ، وهو تبرير يلقي الضوء على عجز تحقيق
 أمام حجة انقدر عجز بحارث احارث لإبعاد التابوت وما
 ات افعه فائمة ، ورغم أن سرائيل أنفسهم لم يحدث لهم سوى
 هزيمة في معركة كانوا هم السب في قدامها ، بل كانوا يستحقون
 معن حربه . "عقاب لما حاولوا من السعي على لكعة وسرقه
 الحج الذي يمد في ربحهم ربح كل هـ . فائمة فائمة ولا شيء يسر
 والها ، وبسطق الإلصاق العاخر بلا أهل ولا ولد ، بلا ماص
 ، ولا مستمسك مأمول بسطق يحور ويحور ، علقاق طولا
 صبح عرير ، بسفي من مكن في مكن يحكي حكايت حرهم ،
 وقصة عجرها أمه 'ممس' ويحكي حكاية (مصاص وي) التي نمتها
 إليك مدح ح تسم سب نه اليانسة حطة اسفر الذي يعيش في
 حربه ، بل في نفس له . ولا حس من لملاق بالعجز والضياع ..
 ولس أحب أن أترك قصة احارث دون أن أشير إلى ما جاء
 فيها عن أخيه عمرو بن مصاص وروحه لإسرائيلية ، وكيف قتله
 مسمر ما بعد أن دسها قوعها عليه ، وما في هذه القصة من شبه ببولد
 سبف ن دي يري في الرواية نظرونة التي ظهرت بعد ذلك بقرون ..
 كما أورد أن أشه من عربة حارث بن مصاص وبين عربة

قيس بن زهير في قصة عذرة بن شداد . لعل الدخيلين يحدون في
هذه القصة مصداك الكثير مما جاء في تقصص المتأخرة من إشارات
لها دلالتها الأسطورية .

وهذه القصة المتداخلة المتشابهة إند تعطينا صورة واضحة عن
فهم العرب للقصة وما يجب أن تحمل من مدلول ، وهي إلى حوار
هنا تفسر لنا حشيم الدامي لما صبح وتصور موقفهم من أخيه
والقدر . إلا أن هذه القصة أحد مكانها في الحياة شملها من
الحياة ، كما تناول أبطالها من أهل شمال مكان مكة وما حدها ،
وهؤلاء كما تعلم ليس لهم ربيع موطن في البلاد بمكة . إلى النبل
الممايع لأسطورية . وأحب أن أقول معك إلى الحياة ، إلى النبل
حيث عاشت حضارة أهرة أكتسب أهلها من التجارة ومن
التجارات ما يسرت لهم ، بحر كبيراً صحة عنت فيه الحكايات
ما شاء لها حدا كأيها في البلاد و سيرة ، فما هذه مواضع
والأحداث كثيرة . وأن أريد هذه حوت أيقظ أن مكتشف
معانيها العامة التي اختارها أعجب هذه للمرحمة إلى محدث
عنها ، أعنى من رحلة الجمع .

(قصة ذى القرنين)

والقصة التي أقف عندها من قصص أهل الخوف واحدة عما
كنه ذهب من منه في كتابه التيجان، وهي قصة ذى القرنين . .
ودو القرنين قصته كثير من المعمرين لكندوا أنه الإسكندر
المقدوني أو . . . كما يسمونه، فيصلونه بهذا فصلا عن دائرة
الأسطورة لعرسه . . أما ذهب مقدم أسطورة متكاملة عن
ذى القرنين الذي هو اصعب من حيث الرثا الخيري، ويسارع
ذهب مقدما بين ذى قصته حديث عن علي بن أبي طالب أنه قال
(حدثوا عن حمير فان في أحاديثها عذر) . ولعله يشير بهذا إلى
ما في القصة التي يحكيها عن ذى القرنين من مصامين ودلالات ،
وربما كان يريد أن يؤكد أن ذى القرنين هو همد الملك الخيري
لا سواه . على أية حال فالأسطورة كما قلنا متكاملة وتسير إلى
مسلوك ذي له أهميته . وما حكي لك القصة موجيا قدر لإمكان
أسلوب ذهب مع فلس من الخوف والتصرف .

قال ذهب : وول الملك اصعب ذو القرنين من الحارث الراش
وتحير بحير ألم يكن في السبعة منحدر مثله . ولا أعظم سلطاناً ولا
أشد سطوة ، وكان له عرش من ذهب صامت مرصع بالدر
والياقوت والمررد والمرجد . وكان يلبس ثياباً منسوجة من الذهب

قال وهب : ولما كانت النية شائعة رأى كنه حار جو عاشد يدا
وطهر إلى الأرض فصارت له عدة . ففوس عليها : كلها حبلا حيدا
وأصا أرضا حتى أتى عليها كلها ، ثم عطش فقبل على الحمار يشربها
بجر آخر حتى أتى على أسعفه آخر ، ثم أقبل على محيط يشربه ،
فما أمعن فيه إذا هو بطن ووجه سوداء لم يسع له ، فتركه .
ثم أفاق من نومه . وما أصبح هام وحار فيها رأى وعب عن الناس
لما به . فقال الناس : يوما يظهر ويوما يختبئ ٢١

قال وهب : فبما في النية الإلهية . أى كيان الإله والحق
أنه من الأرض كلها حلحوا بين يديه . ثم أقبلت بوحوش
من الأرض حتى حلت بين يديه . ثم أقبلت الطيور كلها حتى
أطلته . وأقبلت الخوام من جميع الأرض كلها حتى حقت به . ثم
أقبلت الرياح حتى سددت دفره . فأرسل أنا من الإله والحق
مع ربح أشبه فذهب بهم إلى يمين الأرض . فمما ذهبت أمر البهايم
والأنعام فذهب بهم إلى ربح فذهبوا إلى سبل الإله والحق . ثم
أمر الطير فذهب به إلى ربح في جوده الأربع . ثم أمر الرياح
فذهب بها وحوش . حسن سبعا تحت قدميه . ثم أمر الرياح
فذهبت بالهوام في سبل من مصى من جميع عن أرسل . فمما أصبح
عب عنه هل ما رأى في الدواب الأول والثانية والثالثة والرابعة
فأرسل في ورثته وأهل مشربته ووجهه فومه فجمعهم ثم قص
عليهم ما رأى وطلب منهم تفسيره .

ويعصى وهب يحكي حيرة القوم ودهشتهم وجهلهم بفسير
هذه الرؤى العجيبه إلى أن يقوم له شبح له صفات ودين وقد جرت
الأمور وحكمته لدهور فيقول له " ليس على الأرض من يفسر
ما رأى الانبياء بيت المقدس من ولد اسحاق من ابراهيم الخليل .
ويعزم اصعب على الذهاب إلى هذا النبي تعالى عن تفسير ما رأى
فيحشد جيشاً حراً ألباً ، ثم مضى في طريقه ما لا يمكنه للده
الحرم مشى في الحرم واحسلاً حافياً وخطف بالبدن وحقق وبحر .
ثم ركب وسار إلى بيت المقدس . وما زال به سأل عن النبي الذي
ذكر له حتى طهر له وهو موسى الخضر (قال له) . أيوحى إليك
يا موسى قال نعم ياذا العزيم . (قال له اصعب) وما هذا الاسم
الذي دعوتني به ؟ (قال له) أنت صاحب قرون الشمس .

قال وهب ثم قص عليه ما رأى في يومه (فقال له) : إن الله
مكنك في الأرض . وأعطاك من كل شيء ما . فأما جهنم فقد
أبذرت فانتبه ، فأما طرقت إلى السماء فهو من عند الله تذكره ،
وأما الشمس والقمر والدراري والنجوم فيه لا يبقى معك في
الأرض منك إلا خلعتة . ولا أس إلا أبقلك ، وأما الأرض
التي أكلتها إلى عيبتها تنق مها شيئاً . فبك مملك الأرض ومن
عابها . . والسبعة بحار التي شربتها فبك تركب السعة أبحر وتملك
حررها . . وأما البحر المحيط فبك تركبه وتبلغ منه غنية حتى

يا تيكن عسكر لا تستطع أن تفره . هرجع دونه . . وأما
 الأرض والجن فابك بقلهم في الأرض من مكان إلى مكان ، تحول
 أهل المغرب إلى المشرق ، وأهل المشرق إلى المغرب ، وأهل اليمن
 الأرض إلى شمالها ، وأهل شمال الأرض إلا بينها . . وأما الآهام
 وآهاتهم فيها تسحر بك . . وأما الوحوش وطيور وطوام فيها
 تسحر لك لا تصرف شيئا في مالك ، وحيث ما شئت عقدتها في يدك
 . . مامها . . وأما لرباح فيك تملك عقدتها تصرف صرها عن أي بلد
 شئت . . وأما رؤياك أنت طعمت الشمس والقمر في الأرض فيبك
 ستجاءو مغرب الشمس وتص في طينة لا تهتدي إلا بما في يدك
 من العلم . . فهذه بأمر الله وأعلم بطاعة الله . فإن الله بعينك
 ويسددك ويوفقك

ثم يمضي وهو يحكي . . حبه ذي القرنين إلى مغرب الشمس
 ومعه الخضر وهو يظأ الأرض بالجنود ، يمشي ويسبي ويسبي
 الناس من أرض إلى أرض ، ثم تمضي به الرحلة إلى أرض الحبشة
 ثم إلى أرض السند . ويرى في رحلته قوما يبكا لا ينطقون ، وقوما
 ريق الأعين . ثم مر بقوم آدابهم كآداب احمال . . وستمعت به
 رحلته إلى قوم آدابهم كآداب من أعلى رأس أحدهم إلى دقته . وهو
 عند كل قوم يقتل من كفر ويعفو عن آمن . . ويسمر في

رحلته إلى أن يلع الأندلس ورام ركوب البحر المحيط . فرار
 عليه البحر وصار كالخيل الشم هي مناره وجعل عليها صما من
 نحاس عقد بها عاصفات الريح ثم سكن البحر فلا ، فركبه وسار
 بجميع جموعة ثم طعى عليه البحر دى مناره أخرى ومضى في سيرة
 حتى انتهى إلى عين الشمس فوجد في عين حمة في البحر
 المحيط ووجد من دواها حراثر فيها أمر لا يقهون ما يقولون
 ولا ما يقال هم . وسار حتى بلغ ودى الرمس ، وأقلت الشمس
 حتى سقطت في العين الحمة . فكارهت ويهت جميع من معه من
 حر الشمس ، فلما أتى وادى الرمس وحده يسيل بالرمل كالخيل
 الرواسى فرام أن يعبره فلم يطق . وأحد رسل بأصحابه يكشفون
 له الطريق واحداً إثر الآخر وهم جميعاً لا يرجعون . . . فقال له
 الخضر : يكفيك إذا القربين

وتمت الرحلة لدى القربين حتى سلع أضنه مصر ليلة وفاره
 واحداً وعين الشمس تسقط خلفه . ثم سار في وادى رقى فيه الحين
 والحمد وهو وادى البقوب من أحد منه يدم على أنه لم بأحد
 ريادة عما أحد . ومن لم يحد يدم على أنه لم بأحد من ياقوه
 ما يعنيه . . . ثم انتهى إلى لصخرة البيضاء حيث مات رسول
 إبراهيم عليه السلام . .

يقول وهب : ثم دنا ذو القربين من الصخرة ليرقى عليها
 فالتفتت وارتعدت وتقعقع ، فرجع عنها فسكنت . ثم حاول
 العودة وهو في كل مرة ينهي منها هذا الصوت وتذك الحركة .. ثم
 د من الحصر فسكنت في عيناها ، فإبرل يرقى ودو القرنين ينظر
 إليه ، والحصر يطلع إلى السماء حتى غاب عنه ، فناداه ماد من السماء
 أن امض أمامك فاشرب فإياها عن الحياة وتطهر فإنك تعيش إلى
 يوم اسبح في الصور ، ويموت أهل السماوات والأرض فموت حتى
 مقصيا . قصص حتى انتهى إلى أس الصحرة . فأصاب عيناها برن فيها
 ماء من ماء السماء فشرب منه وتطهر . فبارجع الحصر إلى ذي القربين
 قارله : نادا قربين إلى شربت من ماء الحياة وتطهرت منه ، وأعطيت
 الحياة إلى يوم النفع في الصور ثم أموت ، ومنعت أنت ذلك ، ولك
 مدة تيامها وتموت . فارجع فليس بعد ما يريد لباس ولا حس ..
 وظن ذو القربين في مكانه دما إلى أن أتاه الأمر
 في رؤية له أثناء يومه أن توجه نحو مشارق الأرض . ثم عاد
 إلى لا بدلس ومنها رأى إلى الشام . يدعى الحصر المرح
 وسار إلى الشام .. وهما يقتلان كل كافر في صربتهما إلى أن التفتيا
 مرة ثانية : فسارا معاً يريدان مطلع الشمس ..

قال وهب : وسار ذو القربين حتى بلغ المحيط من عجم الأص
 تحت نبات نعش ، فأصاب فيها أنما خملهم على الإبل ، من أم نجا ،

ومن صدق عن الحق همه على السيف، ثم عطف على الجريرة ومضى
 إلى انرق يدعو ويقتل، ثم قصد أرض فارس إلى جبل اصغر،
 فلاح له القصر الأبيض وهو قصر عاز بن شامح، ثم رل على القصر
 ودخله رأى فيه أعاجيب شتى، فكان يرى من يمشى فيه من داخل
 القصر، كما يرى من في محاسن طاهره، ثم سار حتى بلغ جاعظيا
 بهاوند، ثم لقيته حال شمع مبيقة بينها شعاب عظيمة بكل طريق
 منها يؤدي إلى أمه، فصى في هذه الطرق يجعل كل هذه لأمن
 على الإيمان حملا بالسيف، ثم دخل أرض يا حوج وما حوج،
 ثم رل يأخذها أبا أرضاً، وأمه أمة حتى انتهى إلى الأرض
 الشاهة ثم رل بحر فها بالطرق وهي حال شمع شواخ حتى علب عليها،
 وبلغ الأرض الهامدة فافضحها، وهي أرض منسوجة لاروة عليها
 ثم علب على من بها، بلغ جرثر لأرض التي تراود عنها الشمس
 عبر طلوعها، فوجد عندها قوما صغار الأعين صغار الوجوه،
 مشعري وجوههم كوجوه القروء، وهم لا يظهرون في النهار وإنما
 يظهرون في الليل، وسار في أرضهم حتى بلغ أطراف حرار المحيط
 فاصاب بها أنما من يا حوج وما حوج، وهم قوم سود، ررق الأعين،
 طولال لوجوه، طولال الأنوف، تشبه وجوههم وجوه الخنازير،
 وهم يختفون في النهار من حر الشمس، فدعاهم وآمنوا ..

قال وهب: ثم ركب البحر المحيط فسار فيه حولا حتى ح

الطلقات ، وترك الشمس عن يمينه ودخل أرضاً بيضاء كالنسيج ،
وعينها صورة ليس كنور الشمس ، نور أبيض يكاد يحطف لأضواء ، فقام
أن يشي فساحت بهم الدواب إلى الصدور ، فرك عساكره كلها ومضى
وحده ، حتى أشرقت على دار مفردة بيضاء فيها بيت واحد وعلى
باب الدار رجل أبيض واقف وعلى سطح الدار أخرى يده مزمار
وعيناه إلى السماء ، فقال له الذي على الباب إلى أين تريد يا ذا القربين
أم يكفك أرض لإس والحق حتى أنت أرض الملائكة . .
فيسأل ذو القربين والملاك يجيبه ناداه ، يعلم أن هذه أرض الملائكة
وان هذا الذي يقف سطح الدار إنما أوحى إليه أن يرى ذا القربين
كيف يفتح سراقيل الصور . . ويعطيه الملاك عنقوداً من عنب
وباره أن يأكل منه هو وعسكره . وأعطاه حجر كالليصه وقال
له ربه بما ترى عيبك من الدنيا كان لك فيه عبرة وأمره بالعودة
فعاد إلى عسكره .

قال وهب : وأكل ذو القربين العنقود وأكل العسكر كلهم
والتعنقود لا يقص حتى يلع أرض العجوة ، ثم أخذ الحجر فورن
به كل جواهر الأرض فزحج الحجر ، فلم يزل يربه بالحجر العظيم
والحسيد الكبير والحجر يرحح كل شيء والخضر ينظر إليه ساكناء ،
فسأله ذو القربين عن أمر الحجر . فقال الخضر . هذا الحجر مثل
لعينك لم يملأ عيبك جميع ما في الأرض مثل هذا الحجر الذي لم
يرحح عليه شيء في الأرض ولكن هذا يملؤها . وعند يده

فأخذ قصة من تراب فجعلها في الكفة وجعل الحجر في الكفة الثانية فرجح عليها التراب وحف الحجر ، وقال الحصر : هذه عينك لا يملؤها إلا التراب وهو الغالب عليها .

ونمى العصاة فنام مع دى لقرنين حتى بنى سداً بين أسس وبين يا جوح وما جوح ، وسير معه في أرض الهند وسمرقند وأرض الصين والهند وهرب يقاتل الكافرين ويحملهم على الإيمان بحمد السيف . ثم سار يريد أرض تهامة وأصبح بمكة فلما صار من رمل العراق تموضع يقال له (حسنو قراقر) رأى من الأسباب أنه يموت في هذا المكان ، فلما رأى الموت وبعت إليه نفسه أعلم بذلك الحصر ، ومرض ثمانى ليال ثم مات . ثم غاب الحصر فلم يظهر إلى أحد بعده إلا إلى موسى بن عمران النبي .

○ ○ ○

قصة دى القريين التي حكيت لك بطلا عن وهب بن منبه تعرض للإنسان في أعلى مراتب قوته وعظمته ، في نومه ترشده الأحلام إلى خطوات غدة ، وترسم له طريقه .. وفي اللحظة يسير إلى جواره تبي هو الحضر عليه السلام يمر له ما غص عليه من أمر ، ويسهم معه في تحقيق رساله . ومن حوله سمعت له كل القوى . ودلل له كل صعب ، وبلغ من العز والجاه ما لم يبسه أحد من الملوك .. فرأى آيات الله بينات وأصحاح قآمن به ، ففكر من

كل قوته في نشر الإيمان به والتصدق له حتى أطراف الأرض
جميعاً ، احتسبها كل ما على سطحها ونسط سمعته في كل أحناسها
يدعهم إلى الإيمان ثم أمر سدوم وكنعان قتلته حتى سمع معرب
الشمس ، ثم يعود يطلع مطلع الشمس من ويحور أرض البشر
إلى أرض الملائكة . .

هذا الملك رغم قوته التي استندها من كل مظاهر القوة . . من
أعيب الذي يعرفه في أحلامه . ومن حكمة الأرض التي تتش
في مرقه الخضر ، ومن واقع حياته له من جيوش حرارة
وأعوان لا يحصيهم العدد . ما فعل بكل هذا الملك العريض ؟
ومدا حصل من عم ومعرفة بعد كل هذا العناء ؟ . .

لغصه تقول به تعلم حقيقة واحدة . . وهي أن مصيره أتراب
والقضاء كغيره من البشر . فهو لم يستطع أن يتحارب غنابات الخلود
مرتين . . الأولى عند معرب الشمس حين صادف جبل الصخرة ،
وأى الخلل أن يكون له مرتقى دلولا ، من أن واهتر وصدت منه
أصوات محيطة به جمع عنه . بينما رقيه الخضر ليصل إلى قته حيث
يشرب من ماء الخلود ، ويعود إلى دن القرنين وقد نال ما لم يستطع
الملك الجبار أن يحصل عليه . ولثابته في مطلع الشمس حين
يصل إلى أرض الملائكة حيث يجد ملاكا يذكره بوفته بالقضاء
فهو يتطلع إلى السماء ناخاً في مرمار . وكأنما يقول له ما العالم كله

إلا أن جاء يوم يحج في تصور ، وحسب يخدم ملاكاً آخر يعطيه
حجر آبر . كل أفعال الأرض ويرجع عليها ولكنه لا يرجع حفته
من الثواب . ويفسر له الحضر الأمر بأن الحجر عبيد التي لا يملؤها
كل ما في الأرض من كبر ولكن يملؤها ثواب . وما يترقب
ومن حتى يموت ويأتي

والقصة كما ترى مر عرايا لسان وقصوره . تترأقيد الرهيب
الذي لا يستطيع أن يخدمه خلاصاً ، فهو متحط فيه أبدأً بلا
شك . هذا القيد هو طبيعة الإنسانية التي هي من الرب وإلى
الرب تعود . وممراته لا يمكن أن تصل إلى ممرلة الآيات الذين
يمكن أن يخدموا بأمر . ثم إلى يوم اقيانه . وممراته أيضاً
لا يمكن أن تصل إلى ممرلة الملائكة الذين أبدأً يخدمون عرش الله .
فما هو السبيل ؟

الزهد مثلاً لقد لجأوا انقربين إليه فملك عرشه ورعى ثوبه
وترك الناس تحطفه وتأخذ كل ما يرونها منه . ولكنهم سرعان
ما يرى في نومه أنه يرقى إلى السماء حسب علو سيفه مصلتاً على
الثريا بينما يأخذ الشمس يمينه والقمر يساره ويسير تنعه
باقى النجوم .

فهو المجد إذن . . . وسكنه فتح العالم ، ويحصل على ما يحصل
عليه بشر من المجد والرفعة . ثم يموت كما مات غيره من لم يفعلوا

شيء . وم يسهل في تحقيق شيءنا حقق

لعبه واطاعه . . ومن منه أرعم أعم لأرض جميعاً على
عبادة الله . وقبل من كفر في كل البلاد من هم أسوء الحلقة ومن
هم وحوه كوحه القروء . ومن هم وحوه كوحه الخليلير؟

ما الأمر : الأمر أن الإنسان ماخر مهما امتدت له أسباب
القوة . حاتم هم مهما أكل من الأرض وشرب بحارها وبحيبتها
سيف مهما سحرت له الرياح والحيوانات والموام وكل لقوى .
قاصر مهما لمع عنه كل ما على الأرض من أمه وما فوقها من
حيات وأنها . وصراوات الأمر أنه أسير مد كسبه من عناصر
من أخطرها على وأكثها فوه في نوحه عصر السماء . وهو لن
يهرب منه حتى لو وصل إلى باب الشمس . وهو لن يفت منه
حتى لو وصل إلى مطلع الشمس . وهو لن يحدع مصيره حتى لو
رأى كل الأرض بسيفه . وس يعني منه حتى لو رعد في كل شيء .
وترك كل نعم . الأمر أن الإنسان لن يستطيع أن يتغلب على
قصوره وعجزه . وأنه ينحط في هذا القصور والعجز أبداً
لا فكاك .

هذا معنى الذي واضح وسوا كاملاً في قصة مننيد . يتها .
ويسير معها حتى نهايتها . وهو يتصح في عديد من أساطير العرب
وقصصهم : فلقيمان بن عاد الذي سمته حمير الرايش لأنه كان

متواضعة لله ولم يكن متوحا . يقول وهب عنه إنه كان يدنو الله
 قبل كل صلاة سائلا إياه (عمر أوفى كل عمر) فودى قد أجبت
 دعوتك وأعطيت سؤالك ولا سبيل إلى الخلود ، وختر إن شئت
 بقاء سبع بقراب ، وإن شئت بقاء سبع نوديات ، وإن شئت بقاء
 سبعة أسير كلما هلك أسير عصب بعده أسير . فكان أنه اختار سبعة
 أسير ، ولقمان لم يقص عمره هذا فاتحا عاربا ، وإنما قصاه ينثر
 الحكمة وبحق العدل ، ويرسم القناس طريق الصلاح والسداد .
 ويرى أسير وأسير إلى سبعة أسير ثم يموت ، فالغناء إذا مدرك الإنسان
 مهما عاش ومهما مدته لأجل . وأرجل الذي أحق كلمة الله
 في الأرض سيفه . يهوى إلى نفس هاية الرجل الذي أحق كلمة
 الله بعدله وحكمه

وشبه هذه الهاية هاية ناشر النعم الذي قام برحلات تشابه تلك
 التي قام بها ذو المربين وينتهي نفس الهاية .. وناشر النعم هذا هو تبع
 الأكبر ثم هي تشبه قصة الله شمر برعش الذي خرج في عسكر لم
 يجمع أحد مثلها منذ دى القريين ففتح العالم كله ودانت له أمم
 الأرض ، واصبحت تأتيه بالجزية وهي صاغرة .. ثم كانت النهاية ،
 والواقع أن القاص العربي إنما يحاول قاصداً أن يدفعك دفعا
 إلى أن ترى هذه الوقفة الدرامية ، التي يقفها الإنسان فادرا كل
 القدرة ، وعجرا كل المعجز في نفس الوقت ، وكأنا هو قصد

فصدأ إلى لوصول إلى هذا المصمون في و صوح لا لس فيه
وحسبما يتقدم الزمن وتمر على جمع هذه القصص في كتاب
التيجاني فروع ، تخرج لنا القصة العربية سيف بن ذي يزن ، سكاد
تعمل نفس السمات ونفس المصمون .

سيف ملك حميري يخرج من الجزيرة صحصح العالم للإيمان ،
فيملك العالم كله ، ويحارب الأحباش على ماء الليل فيحرره ، ويسحر
الله له الإيس والجن ، ويعطيه القوة الحسدية لهدنه والأعوام
لشجعان ، ثم هو يعطيه طاعة الحكماء وأهل العلم من أنه عصره .
وهو يعطيه أيضا طاعة لقوى الجارية كالجن السحرة . من إلى
سيف بن ذي يزن يلقى في القصة الحضر عليه السلام وغيره من
المؤمنين المحلدين فيساعدونه وينجونه من النار وموقف الخطر .
ثم يموت ليهود في حال الحوشى بالقاهرة . وكان رحلته ما كانت .
وكان حربه ما قامت ، وكان كفاحه ما وجد

والواقع أن قصة سيف هذه سكاد تشبه في سيرها ومصمومها قصة
شمر بن عث ، وهما الذي يحارب الأحباش على ماء النيل ويستخلص
منهم مصر . وهما الذي يحارب من حره كبيرة ضد الأحباش التي
تتكالب عليه فينتصر عليها مئة ألف من حميري .

وكتاب وهب بن منبه التيجان يورد في آخر فصوله أني جاءتنا
قصة ملك حميري هو سيف بن ذي يزن وهو آخر ملوك السبأ .

إلا أن سيرة هذا الملك سعد تعد كنه عن انقصه التي عرفها الشعب
العربي باسم قصه سيف من دى يز - سيف قى واية وهب كان
والي على بلاد من لدن كسرى . وقد استعان الفرس على إحراج
لأحاش من بلده . ولعن حيال الفاحش العربي فيما بعد قد احضار
هذا الاسم لأنه اسم آحر للوك الناعمة ثم احتار من حيوات
أسلافه ما يكم به لقصه

كتاب من كتب ..

وقد حاولت في الواقع في تتبعي هذا الطويل بعض القصص التي جمعها وهب في كتبه أن أشير إلى الدلالات الإنسانية العامة التي هدف إلى إبرائها هذه القصص . وكنت قد أحاول أن أثبت أن له ب حسن عرفوا القصص لم يفهموا عند حد الرواية السابقة الممنوعة التي تحكي حكمة وتذهب مثلا وحسب ، وإنما عرفوا من أمهات ما له من الخلق الذي ما يحاول أن يكشف عن النفس الإنسانية في حدها الحقيقي . وما يحاول أن يرسم الصراع الذي يحوصه الإنسان بينه وبين نفسه .

وكما أن السجل واحد من الكتب ففلا في التي وصلنا لنكتس هذا العصر . عصر التجميع - وهو يشير بشاره قوية إلى وجود ثروة طائلة من هذا القصص كثر الخالد

ولعلك تلاحظ في حديثك من خلال الكتاب قبل أن أحدثك عن الكتاب نفسه . ولعلني قصدت إلى هذا قصدا ، لأبني أحب أن ما أصاح قصصنا العربي كله هو هذا الذي انصرف إليه الباحثون من الحديث عن الكتاب لا من الكتاب . من هم حين أحذوا من الكتاب أحذوا الشواهد من شعر وخط ، وأهملوا

هذا القالب القصصى الذى جاءت فى مساقفه هذه الشواهد التى
 أحدها .. ثم وقع بعد هذا كله فى حرج ، فهاهنا الكتب إلا
 كتب قصص لم يقصد بها جمع بيوت العرب ، ولا رصد إتيانهم
 فى الخطب . وهكذا يراد التلصق فى أن يكون هذه الشواهد متصلة ،
 ودار الجدل العنيف حول هذه القصص لمرعته ، دون غاية حقيقية
 بالقصة الأصلية . يعنى قصته من هذه الكتب من قصص لها
 دلالات ، من أن يكون لها دلالات ، فهى جزء حظير وهام
 من ترانسا الألى ..

أما الكتب التى نحن بصدد معرفتها رجع أنه ألف مرتين ،
 الأولى حين رواء وهب بن مسهر ثمانية حين كتبه أبو محمد عبد
 الملك بن هشام راء فى سيرة ابن يحيى . ونحن نعنى بكلمة التأليف
 هنا جمع والله تعالى بالصياغة فلا شك أن وهبا كان يجمع
 ما يقع له من قصص موكب حمير وما مرعته ، كونه بما عرفه إما عن
 طريق الرواية وإما عن طريق القراءة . فأنت تلحظ فى الكثير
 من قصص لكتاب أنها تتخاد تكون مختصرة لأصل أكثر
 حجماً وأكثر تفصيلاً . ألمح هذا بما يعرفه أنه رواته للقصة
 من حوار يحسن به مقطوعاً من النص ، أو لما يلجأ إليه من إيجاز
 فى بعض مواضع انقصه بها تيسيراً فى آخراتها فى إطناب يعنى بكل
 التفصيلات والجزئيات .

والأصل في هذا الجزء أنه روي عنه نعيم على ما قرأه وهب من
 كتب، فهو بقول في الصفحة الثانية من طبعة حيدر آباد: وقرأت
 ثلاثة وسعين كتاباً لما أرسل الله عن الأنبياء فوجدت فيها أن
 لكتب التي أرسل الله على جميع النبيين منه كتاب وثلاثة وستون
 كتاباً. أول صحيفتين على آدم سكتين، صحيفه في حنة وصحيفة
 على حن لسان.. وعلى شيث بن آدم حسين صحيفه، وعلى أحنوح وهو
 آدم بن ثلاثين صحيفه، وعلى نوح صحيفه، صحيفه من الطوفان وأخرى
 بعد الطوفان، وعلى هود أربعاً، وعلى صالح صحيفتين، وعلى إبراهيم
 عشرين صحيفه، وعلى موسى خمس صحيفته وهي الألواح، وعلى
 داود الزبور، وعلى عيسى الأنجيل، وعلى محمد الفرقان.

وبدا وهب قصصه مدح خلق الله لكونه ونحكي قصصه خلق
 الحيوانات والسماء، وثلاثه وانعموا واحده والنار ثم وليس
 والجانب من شرار النار، ثم خلق لآرمة وقسمها لله خلق
 الأرض، ثم كيف غضب الله على الخلق فأخرجهم من الجنة
 وأسكنهم الأرض في جوارث البحار وقفار الأرض، ثم تعصى
 القصص لتصل إلى خلق آدم وبعده إلى خلق حواء.. ويقف الكتاب
 بعد هذا مستأنفاً في قصة حلاف قابيل وهابيل، يقف وقفه السماء
 لدى خيار المواقف التي يستطع أن يبرر فيها معاني إنسانية مشتركة
 وعامة. ويستمر بعد هذا متدعياً بطور العلم وطلعة الأسنة وشأفة

انفعة واحداً لا لآخرين . وحين يصر من كتابه في صفحة
(٥١) يبدأ في كتابه سر ملوك حمير ملكا ملكا .

وهو يرجع إلى بعض معاصرة من الرواة وقصصيين في
أجره . كثيرة من قصصه . ولكنه لا يرجع . بل لا يباله
علاقته من حيث الرمز بالصورة الإسلامية . فهو يرجع إلى كتب
الأخبار في رواية عن سليمان . عند الملك بن مروان . وهو في بعض
الأخبار لا يذكر من يرجع إليه من معاصره كقوله في أول
قصة ذي القرنين . رفع الحديث في أمر المؤمنين على من أرى
طالب كرم الله وجهه أنه قد حدثوا عن حمير بن في حديثها
عراً . . .

لصاحب وهب إذن هي انقراض الرواية معاً . والدكتور حسين نصار
في كتابه (مشاهد التدوين التاريخي عند العرب) يأتي برواية ابن سعد في
طبقاته عن الكتب العديدة التي قرأها وهب ويعقب على هذه
الرواية قائلاً . ولكننا نتمسك إلى التمسك في هذا الصدد . ونعلم سبق
أغلب هذه الأخبار من أهل الكتاب الذين اتصل بهم في موطنه
اليم . الذي اشتهر منذ احاط به بأساطير هاتين المدينتين
وتصارعهما فيه . وربما كان الدكتور نصار متأثراً في هذا التمسك
بالذاكرة الشائعة عن عدم معرفته العرب بكتابه . ولكن ورود
النص لدى أوردناه عن وهب بن منبه نفسه في صدر كتابه دليل واضح

عن معرفته لقراءة ، وعلى وحرد يخائف قراءه . وسواء كان
صادقاً أم كاذباً وليس لاشك فيه أن لقراءة كاتب أحد مصدر
ما جمع من قصص ربما قدم من حكايات . . . ذلك أن الرواية يعنى
في أغلب الأحيان بالحدث ذاته ، وحتى وإن خرج منه بدلالة فهي
إنما تخرج بدلالة سفسجية عارده . أما الإعياد على التكتاة فهو يعنى
دلالات أعمق وأكثر حسراً . وقد يكون هذا القصر حاضراً
ولكن أحب أن أسبق قصة من تسه من لتجميع من مدره
من نحو دلالات قصته لم يه في دوت في هذا العصر ،
عصر جمع

والقصص في قصص ومن كاري أنها روياء عن ملوك
عرب من ملوك اليمن ، والواقع أن ملوك حمير كانت لهم أهميتهم
في حياة الشعوب قبل ما يعرفه من تاريخ العرب . وليس لنا من
أدلة إلا ما سبقه أمثال هذه القصص التي يحكيها وهب ، وما ورد
في قصص الأمم التي عاشت معهم في حقبة زمنية متماثلة فالذكرور
يعني الخشب يقص في كتابه (حكايات قاسية) في القصة المعنوية
بقصة بعل لإبري والآخرى التي روي أعياد الفرس ، أنه في عصر
(حش) كان حمار يد الفرس في بلاد حمير مدك عر في عظيم
و كانت أحياء تسير في إياب فيعجب أهلها بعدة واستقامته
وحسن سيره في رعيته وكان التجار يقدون من حمير على إمر

فيقتلون على أيديها من عظمة مرداس وحب الأعراب له ما كان
 يقر به من قلوب الإيرانيين وبعده في قلوبهم ، وكانوا يملكون
 من إيران إلى بلاد حمير فيحدثون فيها من جور حمشيد وبعيه
 وغروره ومخاوتة فهو المرداس على عادة أمثله ، ثم يطلون في
 إعراء المرداس حتى يد و إيران ويقتل حمشيد ، يقطعونه نصيب
 يعطى سمكه ، ومضى القصة فقول ، وله يسكن مرداس عرساً
 عن إير ، فهو روح أحب حمشيد ، وولده الذي يله في الحكم حمير
 من أسرات إيرانيين ، ولد في حيوشه قوبت المرحب في
 إيران ، وما انتهى لقصة إلا وقد أصبح ملك حمير ملكاً على
 إيران ثم يقتله ابنه بنو سب ليعدو ملك حمير وإيران

وأساير المرداس من ثبات هذه الحصة بمرقه التي كانت
 لموت حمير ، من ثبات إلى حو ، هذا ما كانت بلادهم سمع به من
 رخاء وأمن وعداة ، ولعلها نبت نصاً ما كان لهم من نفوذ
 وسطوة وما قام به من فتوحات . .

وهذه شئ ، هام وحظير الدلالة في هذه الأساير المأسيّة ،
 فالأسطورة التي تناول حياة حمشيد باحد أشياء كثيرة من قصة
 سليمان التي يرويها وهب فهي تأخذ متلاً حكائية الخاتم الذي
 كان يملكه فيسحر الخن ويحصع الطير ، فكلاماً - سليمان وحمشيد
 كان يملك هذا الخاتم ، وفي العصاة المرمية بمقد سليمان الخاتم عندما

مسيو كر الله اليه عه رؤيه للحيول الخصر ، حيول الماء . أما
 في القصة الفارسية ، حمشيد يعقد الخاتم بحية ملك البحر (صحر)
 الذي يسرقه من الأمانة عليه .. والبيعة في القصة من مشاهير ،
 سليمان يتوه فترة من الزمن ، بينما ينولى مكانه شيطان يتر ما ربه ،
 وحمشيد يخرج من قصره وقد تغيرت صورته ورجح يلتبس لورق
 في معاونة لصيادين في البحر وفي القصة العربية يعود الخاتم سليمان
 بعد أن علمه الله أن الملك لا يدوم لأحد ، أما في القصة الفارسية
 حمشيد يعثر على الخاتم في ممكة يصطادها ، وفي فترة غياب الاثنين
 يحكم لشيطان مكهما ويستنحل ما هو وسهما ثم تبرز فجأة نقطة
 لتقاء واسمه حين تذكر القصة الفارسية أن وزير حمشيد اسمه
 آصف .. بينما تذكر القصة العربية أن وزير سليمان اسمه آصف
 ابن حيا ..

ثم تتفرق لقصص لولا أن نهاية حمشيد تأتي على يد نعل حميرى
 وبرصه من أهل إيران ، وهذا الجزء من الإرباط يشير بوصح
 إلى أن الأصل هو القصة العربية ، وأما القصة الفارسية
 فيها القصة العربية تسيطر على نمط باقي القصص التي رويت عن
 ملوك حمير ، نرى القصة الفارسية تستورد لطلا حميرياً تختم به
 حوادثها وتستطيع أن تقول إن المرص عرفوا فيها عرفوا عن
 ملوك حمير هذه الأساطير ، فنقوا منها ما روي به قصصهم ..

والمواقع أن فكرة نقل العرب في قصة سليمان عن الفرس لانهض
أمام المناقشة ، فالجزء المشترك ليس أساساً في القصة العربية بينما
هو جوهر في القصة الفارسية . . والقصة العربية تنحو من كل سمات
اتصال بالفرس ، بلها القصة الفارسية تعتمد في كثير من أحوالها
على علاقة منمة بالدولة الخيرية وملوكها وهي تعرف احتلال
عربي لإيران استمر زمناً ، ويدخل أحد ملوك حمير أساطير
الفرس باسم الصالحك العربي .

والمواقع أن هذه النتيجة لو صححت - وهي تصحح إلى عدة
دراسات مقارنة لإثباتها - لا يمكن لبعض المسلمات أن تعود إلى
مصدر البحث والمناقشة من جديد . من هذه المسلمات مثلاً أن معظم
الأساطير العربية تعتمد على أصل فارسي . ولعل هذا الافتراض
الذي سلم به كل الباحثين يعود إلى أن الأساطير الفارسية عثر عليها
واستعملها الباحثون ووجدوا فيها سمات متشابهة مع ما للعرب بعد
الإسلام من أساطير وفصوص . وبكتنا بعد هذه النتيجة بسامان
أما يمكن الأساطير العربية امتداداً طبعياً لما عرفوه من الإسلام
من أساطير عن تاريخهم وحياتهم ، أخذ منها الفرس ما عادوا فردوه
إلى العرب ؟ على أية حال أحسب أننا نستطردنا في هذه النقطة
طويلاً ، وكل ما كنا نريد أن نشته منها أن ما يرويه وهب عن ملوك
حمير يستند إلى أصل أسطوري يتعلق هؤلاء الملوك ، وأنه لم يكن

يؤلف من عنده حكايات مختلفة، إما كان يروي ما نقله أهل اليمن
عن متوكهم من حكايات، وما سطره في صحف تؤولها إلى أن
وصلت إليه وإلى غيره من الرواة اليمنيين كعبيد بن شربة الجرهمي
مثلاً

والواقع أن وهما في كتابه يحاول أن يلائم بين ما يحكي من
تواريخ وقصص، وبين ما دخل معارف العرب عن طريق الإسلام
من قصص ومعتقدات، فهو يحاول أن يلائم بين ما يروي به وما
جاء بالفكر، فمحده يستشهد بأنهم لم يحاولوا التوفيق والملاءمة،
وهو قد حاول هذا في قصة عاد وثمود، وقصة ذي القرنين وقصة
سليمان، وقصة خلق آدم ومفيدة نوح، وغيرها من القصص وهو
يقف عند بعض المصائب التي يوردها في قصته فيناقشها مناقشة من
يحاول إثبات صحة قصته رغم تعارضها مع بعض أحكام الدين..
كما ناقشه حكاية بسط شيطان مكان سليمان على ماله ولسانه،
وكما ناقشه لما قاله المفسرون عن ذي القرنين من أنه الإسكندر مقدوني
مع ما تؤكد قصته من أنه ملك حميري، وكما ناقشه بين بعض الأسماء
التي يحكي عنها ونسب التي صلى الله عليه وسلم، كما أورد في قصة
الحارث الجرهمي والهمداني الذي هو من حدود النبي صلى الله عليه
وسلم، وكما فعل في قصته عن مصر وأولاده وهي من أروع
قصص الكتاب، وكذلك تشير حكايات وهب إلى ما في الجريرة

من كنوز مصمورة وقيور مجمعة مليته لاثر اني تم عن ملوك
مهمبر... ولواقع ألك في قصص وهب هذه تحس بعناية تحاول
بروح عصره أن توائم بين ما تعرفه وبين ما يجب أن يقال..
وتحاول أن تثبت ما تقول مرة بالبرهان العقلي، ومرة بالمناقشة،
ومره بالاستناد لحدث شخصية من موقفه كآلي صلي الله عليه وسلم
أو علي بن أبي طالب..

وفي حكايات وهب ملح اتصالا كبيرا بكل شعوب الأرض من
الهند والصين والأندلس والبرك والفرس والصفقة والأحاش
والمصريين وسكان الجزائر وعربهم، مما سبق عصر تدوين هذا
الاتصال الذي حدث بعد فتره طويلة في الإسلام زمن ضويل.
هذا هو آخره الذي رواه وهب، ثم يأتي بعد هذا دور ابن
هشام فتراه يخرج من سياق لقصة ليصيف شتأ من عنده ثم
يعود إلى قصه وهب من جديد.. وتراه يصيف هذه الأشياء كأنما
ليكون لقصة زمنا. فهو يصيف ما يحس أنه يكمل القصة من
عند النقطة التي وقف بها وهب أو يصيف إلى القصة حديثاً لم
يعاصره وهب، وهو يعتمد في رواياته على مصادر متعددة منها محمد
ابن اسحق، ومنها الهمداني، ومنها الكلبي، ومنها عبيد بن شربة، ومنها
حكايات يحكيها هو عن حوار دار بين وهب وعد الله بن العباس
وكعب لأخبار عن ذي القرنين مثلاً.. فإن هشام يقرص شخصيته

على الكتب فرصا يصعب قضية هنا. وحكاية هناك، ومتاح
الشعر أو خطبة في بعض الأحيان . لا ألك لانتدحه يتدخل لا
فيما يتعلق بالعصور المتأخرة التي نقر من الإسلام أو التي تدخل
في الإسلام ؟

ويقول الدكتور هشار عن وهب وما في كتابه من شواهد
للغات المختلفة . قد تخرج من هذه الشواهد ونحن على ما يشبه
الاطمئنان من معرفة وهب باللغة العبرية والسريانية ، وفي نفس
شيء من معرفته باللغة الآرامية والخريرية . وما يريدنا يقيناً معرفته
اللغات غير العربية ذلك القول في كثير من المراجع بأنه قرأ
الكتب أو العدد منها ، وأن تفسيره للكتب العبرية والسريانية
كان صحيحاً في أغلبه ، وربما استمد وهب بعض معارفه عما كان
شائعاً من قصص من أهل الكتاب ومن لم يوجد في أنجيل
أو تورااة ، وهب إذن ليس مجرد راوية وإنما هو إسن يعرف ..
أعني أنه يجمع بين القدر الفني في الرواية والدقة في الرجوع إلى
الأصل الأسطوري والتحقق منه . . وصاحب العقد المرید يعتبره
فقيه اليمن في روايته الطويلة عن اس أي ليلى عن أسنة عيسى بن
موسى له عن فقهاء عصره إذ سأله . من فقيه اليمن فقال طاووس
وأنه ولس فيه .

ولو هب أعمان أخرى لم تصل إلينا وإنما جاء ذكرها في بعض

الكتب فينقل الدكتور نصار عن كشف لطنون نصا يدل على أنه
ألف كتاباً في المعاري . كما ينقل عن الأستاذ هوروفتس أنه
يسبب لوهب كتاب . المتداً كما يروى عن طقات ابن سعد أن له
كتاباً يسمى كتاب العباد . كما ينسب إليه آخرون كتاباً
ب عنوان الإسرائيليات . .

والواقع أن كل هذه الكتب لم تصل إلينا وإن وصلت إلينا
صفحات مفردة من كتابه في المعاري . . وربما لو اكتشفت
هذه الكتب ألقت الضوء على كثير من الأساطير العربية التي
لم ينسج لها كتابه التبحر . . والواقع أن كتاب التبحر نفسه
لم يكن معروفاً إلى عهد قريب جداً فالأستاذ أحمد أمين يقول
في صفحة ١٦٩ من كتابه في الإسلام
رأى كتاب وهب بن منه في تاريخ ابن خلدون في عهدنا هذا لم
يصلنا شيء . يصح أن يوثق به إلا قليلاً .

وحتى الآن لم يصلنا إلا البر القليل الذي يشير إشارة لا تقس
اشك إلى تراث حتى خطير تلور في هذا العصر الذي يحدث عنه
عصر التجميع . إلا أي لا أحب أن أترك الحديث عن هذه
الفترة دور أن أقف قليلاً عند كتاب آخر خطير في دلالاته وفي محتواه .
ذلك هو كتاب . أحبار عبيد بن شره الجرهمي في أخبار اليمن
وأشعارها وأنسابها . .

كتاب أخبار ملوك اليمن

إذا كان كتاب التيجان لو هب من منه يعتبر صورة من صور عصر التجميع بما فيه من تدوين لما عرف العرب عن ملوك اليمن من قصص وأساطير ، قاصد فيها لمؤلف قصداً إلى الإشارة إلى المدلول الإنساني العام لهذه القصص والأساطير ، وواصداً أيدينا على الدلالات، لدراسة "تي تشكل موقف الإنسان العربي من القوى المسيرة له والمتحكمه في مصيره ومستقبله . فكتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شريه الحر صبي يرسم صورة أخرى من صور هذا العصر . قد تنفق مع الصورة الأولى في الاهتمام بإيراد قصص الأوابين وأساطير ملوك اليمن وسكانهم تختلف معها من حيث الهدف والأسلحة ، كما تختلف معها من حيث الأهمية والنوع .

فإن قصد من هذا الكتاب مدى أحب أن أعرضه عليك كشمودح يمثل اليار الثاني في عصر التجميع ليس الحكاية في ذاتها ، كما أن لقصد منه كدبث ليس إيهام لقصة حقها من حيث دلالاتها الإنسانية . وإعنا القصد من هذا الكتاب شيء آخر . يمكننا أن نسميه العظة والعبرة ، ويمكننا أن نسميه الرئيسة والتهذيب اللذين تعتمد عليهما القصة . وهو بهذا يكاد يكون أقرب الصور

إلى ما سمي بالتقصص في هذا العصر . والتقصص في عصر صدر الإسلام ثم في العصر الأموي لم يكن يقصد لدائه ، فأنت تعلم أن الدولة كانت تهتم به اهتماما كبيرا من كانت تعين القصص كما تعين القصة ، ولعلها كانت تعين القصص من القصة . وقد حملت كتب الأدب أسماء القصص في كل بلد إسلامي فرى أسماء الحسن البصري وسعيد بن الحسن ، والأسود بن سريع ومسلم ابن جندب . بن رى من سمات أصحاب الفصل أن يعرفوا بالتقصص فيقول الخاطب في يانه وسببه إن أبا بكر الهدلى في منتصف لقرن لأول كان حطيبا قاصاً عالماً ، لاحقاً ولاحقاً

في ضوء هذه الشواهد يحس أن للتقصص مدلولاً معيناً تفهمه به الدولة ويفهمه به الناس . . . هذا المدلول هو ما يمكننا أن نقول أن كتاب عبيد بن شربة هذا يعبر عنه وهو مدلول يرسم ما حدث بعد هذا من تداخل بين القصص والتفسير . . . فالتقصص أداة دينية من أدوات الشرح والتوضيح ، والتقصص أداة تفسيرية لشرح ما يحس فهمه عن طريق الحكاية والرواية . ونقول صاحب الالتقاء في ذكر العلوم المنسطة من القرآن . . . وتبحث طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ، ونقلوا أخبارهم ودوروا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا هذه الدنيا وأول الأتباع ، وسموا ذلك بالتاريخ والتقصص .

فهذا النوع من القصص إذن تعرض حكايات الأمم السالفة
لا لقيمة هذه الحكايات في حد ذاتها وإنما لما لها من قيمة في تثبيت
المعاني الجديدة ، ولما لها من قيمة في تأكيد دلالات القصص القرآني
والخلق القرآني .

وعيديقيرل في أول كتابه مخاطب معاوية : يا أمير المؤمنين ، لك
في غير هذا الحديث ما يقصر ليلك وتدبره في سهارك ، فإن فيه مათوى
وما لا تهرى ، ومعصية وشعها أهلك وبغش مودة .

هذا الاحتراس من عيب معناه أنه يعلم أن في دلالات قصصه
ما قد يرعج ملكا عربص الملك قوى السطون ، من تذكرة نهاية
الطعامة وهي عن الإسراف في المتعة وما يشبه ذلك .. ولهذا كان من
الطبيعي أن يؤمنه معاوية من غصه وسخطه فيقول له : عرمت
عبيك إلا أبعث هواي وحدثني ما علت مما أسأت عنه ، فأنت
في حوار الله ودمه ، وأمان مني ومن غصبي وبغش مودتي .

وهكذا يبرر لك الكتاب أن تلقى هذه الأحاديث على مسامع
معاوية . إلا أن هناك نقطة أخرى تحتاج إلى تبرير ، تلك هي
موقف عبيد من شرية نفسه من الدين يحكى عنهم . فهو يرمى له
تاريخه الذي يدين له بالعصية وله ألباؤه الذين يعرفهم الولاء .
وهكذا يأتي سؤال معاوية يحاول أن يستوضح هذه النقطة ، أعني
موقف عبيد بين عرب الجنوب وعرب الشمال .

يقول معاوية أحبر عنك ما بك . يا ذا دكرت إبراهيم لم
تحدث أن صلى عليه . وهذا دكرت والدم هو دأبي لله فلم يص
عليه وهو بي الله . ١٠ . ويأتي رد عبيد موضحاً موقفه تماماً إذ يقول .
يا أمير المؤمنين . والله لو أحب إلى من أبي الذي حملني في صلبه .
وأحب إلى من أبي التي أضعني . ولا أعدل بحبين لرحمى أحدا .
ولا يح اصلى الله عليه وآله وسلم . ولا هو صلى الله عليه وعلى
جميع الأنبياء . وهكذا تجد موقف عبيد فيقول معاوية . . بك
لمصنف فتد في حديثك برحمك الله . .

فأنت تعلم أننا في هذا العصر قريب من حد من العصر الجاهلي
نما فيه من عصبية وهذا يبرر إلى حد كبير سؤال معاوية
ومحاولته تحديد موقف عبيد . فالمقصود بالمقصص كما قلنا غطة
إسلامية لا لعرات جاهلية . لا أن هذه العرات تظن برأسها
رغم كل هذا التاكيد والتحديد فتري عبيد يقول . . حتى كان
إسماعيل ونقله أبوه إبراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده . فأمر له
بكم . فكنا نحن جرم أهل البلد الحرام . فشا إسماعيل وبنا .
ونكلم بسلام العربية وتروح منا . . فجميع ولد إسماعيل من بنت
مضاض بن عمرو الحرهمي . وإسماعيل وأبوه منا . وأنتم يا قریش
ما . والعرب مصها من بعض أم تعلموا أنكم من ولد إسماعيل
ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وإبراهيم نحن ولدناه وأبوه أرر

واسمه تارح بن باحود بن أرغو بن شارح بن فالج بن عابر ، وهو
هو د فهو أبوه وأبوك ، فحسن ولدك كم وأسم دسا ونحس منك فبيد
في كثير .

وهكذا نطل هذه العصبية التي حشيتها معاوية فيؤكد عميد أن
أهله وقومه هم الأصل ، إليهم يعود جميع العرب .. وبصبح معاوية
محدراً ، كأنك تحدث عن حديث لجاهلية ، فيقول عبيد
وكاننا معتدراً ، يا أمير المؤمنين بك في الإسلام ما بعسك عن
سنت وقد يحق الإسلام ما كان منه كما يحق الشمس ضوء القمر ..
وما سكت نص إلى آخر الكتاب حتى أصبح صورة أخرى
من صورة هذه العصبية ، فيدعي عبيد روى من شعر ماولد حمير
ما يشهدون فيه بذكر ملكهم وعظمة أمرهم ، روى معاوية كاستح
فيقول له عبيد ، يا أمير المؤمنين بك لتكلمني أقول أقوام قد
ذهبوا كانوا مبركاً ، فإذا قالوا صغروا غيرهم لتدبرهم وعظمتهم ،
فيقول معاوية مدعواً بعصبية ، يا عبيد قد غاب ذلك عما ، فقل
إن تكن حمير ملكك كما ذكرت فقد أورتنا الله ذلك من ملكهم
فهو لنا اليوم قد ابرعه الله نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،
وهو ما ، فحسن أسرته وخير الناس بعده ، ولولاه لم يكن شيئاً ،
وحسن حمير آلتنا ولحمد الله الذي أكرمنا به وأورثنا أرض أعدائه
الحررة العباء ، وكأنا نمت هذه السمكات عن معاوية فمئات

غصنة وأصحت عصبه فيعود يقول : في غير متق شيئاً ولا سائب
أحدأ فأنت في دمنى وحوارى والله لك على سالك شاهد ،

وهو يدل أول الأمر على قرب وقوع قصة المسمرات هذه
من عهد الحاملية ولا بأس إلا أن كان في عصر معاوية . ولا
أس في تصديق صحة هذه الكتب لعبد بن شربه ، وإلى مسامرات
معاوية . وهذا يدل ثانياً على ما محه الكاتب من حرج لا يقع
فيه من نقص القصة لذاتها وإنما تقع فيه من نقص القصة لدى
يخشى أن يعلق شبهة بحسن منه في القصد إليه والانتباه بحكاية
نحوه . . . وهذا يعني أن هذه القصص كما قلنا إنما أيد بها خدمة
الدعوة الدينية أولاً وقبل كل شيء .

ويذكر في هذا ما يتعلق بثقافة القاص . . . فبعد أن نحدد موقف
القاص العبد عن لعصبه ما أمكن ، نحدد اكتساب ثقافته الإسلامية
وحرصه على موافقة القرآن الكريم ومعرفة ما ساء به .
فمعاوية يسأل عبيد حين حديثه عن لقبيس رد يرى ما في كلامه من
موافقة قصة القرآن الكريم . . . صدقت ، ومن قرأت القرآن . . .
فيأتي رد عبيد حاسماً حين يقول : . . . والله يا أمير المؤمنين ما حفظته
إلا في شهر واحد وحين يمضي عبيد الحدث في قصة لقبيس
وسليمان يلحظ معاوية أنه يسرد القصة مطابقة تماماً لما جاء بالقرآن ،
بل إن عبيداً يستعين آيات القرآن الكريم في سرد قصته فيسأله

معاوية . . لم يقرأ القرآن بعد الحديث . . ألا تأتي بالحديث الذي
لعلك ؟ . فيقول عبيد : . يا أمير المؤمنين القرآن أصدق أم
الحديث ؟ ولو لم يكن هذا في كتاب الله لكان الحديث عيسى ثقة ،
فعبيد يعد في صراحة أنه بدترم ، لص لقرآني ما وجد هذا الص ،
فإن كانت قصته التي يحكيها لم ترد في القرآن فهو يوردها عن ثقة
واطمئنان إلى مصادره الأخرى . وحين يسأل معاوية عبيداً
عنه ، جاء في حطاب سليمان إلى بلقيس وقومها قال عبيد : قد قلت
لك يا أمير المؤمنين في ذلك أنطو شيء ليس بينه في القرآن وقول
الله أصدق . ثم يورد عبيد نص آيه بأكمل ما بدأه من حديث

والأمر ليس أمر فرأه للقرآن . ومعرفة به حسب ، ولكه
أمر معرفة بتفسيراته ومرامى آياته ومعاريفه . فعبيد يذكر آية
من القرآن ، ويسأل معاوية عن معنى كلمة ، فيسرها عبيد . يسأل
معاوية . . وما سريته أن هذا كذلك ؟ قال عبيد : سمعت ابن
عباس يا أمير المؤمنين يذكر ذلك ، ويقول عبيد مؤكداً معلوماته
. وسأله عن القرآن أيضاً فما يفسر من الظاهر شيئاً إلا أنا أعرفه
وأعلمه ، قال معاوية . . أوله بض ؟ . فيرد عبيد : كذلك سمعت
ابن عباس يذكر . فيقول معاوية كالمتعجب . . ما تركت شيئاً
يا أبا جرم إلا وقد دحاج فيه وطلبت عليه . . ويقول عبيد :
. نعم يا أمير المؤمنين . القرآن أحق ما دخلت فيه وطلبت عليه . .

فعبید بن قرأ القرآن و فهمه . و طلب علم تفسيره و تأويله و بعث
 من ذلك ما وسعه . فهو قد أخذ هذا العلم عن عبد الله بن عباس الذي
 اعتمد عليه في كل ما له علاقة بتفسير ما جاء بالقرآن . وهو يقول
 لمعاوية : سمعت ابن عمك يقول : وهو يقصد ابن عباس وهو كما ترى
 يصرح في روضه أن أحد عليه التفسير و عدم منه كل ما يستطیع . و يصل
 به لتخرج في ذكر الفصل الذي ورد في القرآن حد أقول فيه . و لست
 بمحدث بشيء ليس في القرآن . و لست بواصف حبراً لغني بعدد . قال الله
 تبارك و تعالی . و قوله هذا يدل على التخرج لمتبين من ناحية .
 و يدل على هدفه و رسالته في سرد القصص من ناحية أخرى .

و يتبين هذا اتصالاً مباشراً طريقته في سرد القصص . فهو
 يعتمد اعتماداً أساسياً على آي الذكر الحكيم . من تلعب به الأمر
 حد اقتباس الآيات بنصها و يرادها في معرض حديثه لتكمل السرد .
 فزى في حكايته عن عاد حديثاً يسوقه على لسان جاريه يقال لها
 مهد ، ناحت بعد هلاكهم ؛ تقول حكاية عبید . و يقال بمعاوية إنها
 أول أنحة ناحت في الأرض . فقال لها قومها : و يتحدث ماذا ترين .
 و ماذا دهك ؟ قالت الويل لعد التي صعدت في الدلاد فأكثروا فيها
 المساد . و تنصح هذه الطاهرة في قصة بلقيس و سليمان ، كما تنصح
 في قصة ثمود و نبيهم صالح . إذ نكاد نكون تفسيراً للقصص
 القرآن ، بل إن هذه القصة بالذات تفسر في مردها مع آيات
 القرآن الكريم خطاه و خطورة

ويدخل في هذا أيضاً موقف عبيد من شحوص قصصه
 وحوادثها . . فالباس عنده قسيان . مليون وكفار . . وكل من
 آمن بالله منذ فجر التاريخ فهو مسلم . وكل من خالف هذا الإيمان
 فهو كافر . . مساوى في هذا عنده أتباع الأهم وأتباع هود . . يد
 يقرب في معرض حديثه . وأسر مع هود منهم نفر يسير لا يستعد
 أربعين رجلاً . أسم رجل من أسرافهم وساداتهم ودوى أحسابهم
 وهو رأس الزمرد ومصاحب الدر والنفري . . وهذه في الواقع
 صفات المسلمين عنده . ومعنى عذاب المؤمنين بدس يحول دائماً من
 كل عذاب . فبعد ذلك عاد إلى ملط عبيد الربح بقول عبيد
 . . وم من منهم أحسن . لا ه لة العصفية ونيها وهي امرأة
 أى سعد المقيس . فإن الله خام من العذاب بإيمان أحسابهم . وأمر
 الله سبحانه وتعالى . . مع حملته . . فق وشعقة هي وولدها ولم تؤدهم
 ولم نصر ثم حتى أنت هم حكة .

ويسمى هذه النصب . المؤمنين مع كل الأنبياء حتى إبراهيم يقرب
 عن آصف من رحياء وير النى سليمان . فاطلق آصف وتوضاً
 ثم صلى ركعتين . دعا بالإسم الأعظم . والصلاة هنا ليست دعاء
 وإنما هي صلاة إسلامية يسبقها وسوء . . وهذا لاحتلاط يتناول
 في وقع الأمر كل الأديان التي عرفتها الحريرة سواء كانت كساية
 أم لا . والملوك الحريرة إنما يفتحون للدليل قصوا على الكفر

والكفار . فهو يقول في سب خروج شمر برعش من ابيمن . إن ملكاً من ملوك بابل تجر وبي صرحاً ليرقى فيه إلى السماء ، كما فعل فرعون وهامان . فخصى إليه شمر تحتوده لحائه وظفر به . . بل إن حمص عبيد يجعله يحاول أن يبرر بعض ما تعارف الناس عليه من روايات تنسب الشر لبعض المؤمنين . كما جاء في حديثه عن آصف بن برخيا وربر سديان . إذ يذكر أنه نعم اسم الله الأعظم . فيقول معاوية . هلكك حول باعبد . أو كان آصف يعلم ما تقول . ولسحر اليوم استه إلى عبه وهو الذي كل وضعه ؟ . وسرع عبيد قائلاً . إن الشيطان نسي أحسن مكان التي سديان جدد آصف والناس أحمق . . يقول عبيد . . فيذكر بأمر المؤمنين أن ذلك شيطان أمر . بسحر فكيف ثم دهر تحت كرسى سليمان بن داود وأسنده ذلك للشيطان إلى آصف بن برخيا ، ثم أخرجه للناس . فلما حج سليمان إلى مملكه ودا الله نعمته وكرامته ، لم يلبث إلا قليلاً حتى قصه به إليه . ولح المحررون باستعمل ذلك لكتف وأصديقه . .

ودفاعه ضد عن آصف إنما يحاول به أن يثبت أن يكون السحر وهو شر من صنع أحد المؤمنين ، بل من صنع وربر هو تابع وصفي النبي سليمان بن داود . وشبهه بهذا دفاعه عن الأوس والحمر رح وعلاقهم باليهود في المدينة ، إذ يقول معاوية . . لقد بلغني

بعباد أن اليهود كانوا بها ما كان لخرج معهم فيها أمر ، حتى أن
الرحمن يتروح الإمرأه قد يصحبها حتى يبدأ بها رجل من اليهود
وكانو غلبوهم على أمرهم . ، فينتهي له عبيد قاتلا : معاد الله
يا أمير المؤمنين لقد بلغك ما لم يكن . ولقد كانت اليهود بها أدلاء
فكانت الأوس والخزرج أئمنع من ذلك وأشد ، ولقد أخرجتهم
الأوس والخزرج من المدينة حتى سكنوا حبيص ، وما كانت يراها
من الخزرج يقدواها رجل من اليهود أدأ . . .

فهو في حديثه كما ترى يحاول أن يصحح بعض القصص الكاذبه
والأخبار التي تناول كرامة المسلمين من القوم فهو يدافع عنها
ويشكر كل ما يعنى بها ما يشين ويكدر . وموقفه كما ترى موقف
واضح بعبيل بكل ثقله لتعطى أحداث التاريخ لوما أهرأ راهرأ
لكماح المؤمنين والمسلمين وموصفهم بين الشعوب قبل
الإسلام وبعده .

ويذكر في تحبيد هذا الموقف ما جاء بالكثير من قصصه من
شبه بدعوة محمد عليه السلام ، وتنبؤ بظهوره ودعوته . فهو
يقول عن سليمان : ثم إن سليمان سار في أرض العرب فرمى موضع
المدينة فأمر الرمح فوقف ثم أعلم أصحابه أن هذا المكان مهاجر
بى يخرج فى آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو حاتم النبيين

صلى الله عليه وسلم ، وتعود هذه النبوة مرة أخرى على لسان حبر
 من اليهود في عهد تبع الأوسط حين حاول هدم المدينة . . يقول
 عبيد . . وهم بحراب المدينة فقام إليه رجل من اليهود يقال له كعب
 ابن عمرو وقد أتى عليه من عمره مائتان وستون سنة فقال له : أيها
 الملك لا تقل على العصب ، وأمرك أعظم أن تطير لك الرو
 أو يمسك في قلبك الحجاج ، وسرع إلى ما لا يحمل لك ، وإليك
 لا تستطيع أن تحرب هذه القرية . قال : وم ذلك ؟ قال : لأنها
 مهاجرة يخرج من هذه البنية - يعنى مكة - وهو من ولد اسماعيل
 ابن ابراهيم خليل الله . . قال نبع : ومتى يكون ذلك ؟ فقال : بعد
 زمانك بدهر طويل فلما سمع كلامه سكن وكف عن حراها .
 بل هو لا ينهى قصته عن تبع الأوسط هذا إلا ويورد على لسانه
 شعراً في ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه

شهدت على أحمد إنه	رسول من الله ماى الاسم
له أمة سميت في الزهور	فأمة أحمد خير الأمم
فلو مد دهرى إلى دهره	لكنت وزيراً له وابن عم

فالقصر إذن عن وعطى يعطينا صورته واضحة عن معنى
 القصص الديني لدى البشر في هذه المرحلة انتشاراً كبيراً ورعته
 الدولة وشجته .

وثمة ظاهرة مهمة تلفت النظر في هذا الكتاب الهدي هو عبارة
 عن مساومات في مجالس معاوية، هي أن معاوية لا يقف وقفه
 المتفرح أو المستمع، فما هو يتقش ويسأل ويطلب بين الحين والحين
 بالبرهان والدليل . . . حينما يذكر عبيد عن عدها أصحهم من
 فحط ثم يقول، وأجمعوا على المنسرى إلى بيت الله الحرام يسبقون
 العيث، يقول معاوية محادلاً لله أنت يا عبيد وكيف كانوا يطمعون
 أن الله يستحيب لهم وهم مقيمون على الشرك بالله وعمادة الأصنام،
 ويرد عبيد قائلاً، كان الناس في ذلك زمان العرب وغيرهم من
 المشركين يدبرونهم فادحه أو باسمه مائة أو أجمعهم فحط أو
 غيره فرعوا إلى الله فأبوا إلى سلب الحرام يطيبون من الله امرح
 فيعتصون مسائلهم ويعرفون من الله الاستجابة عند الله لهم،
 فيجتمع تمكنة نشر كثير يحنقه ديارهم يطيبون من الله حوائجهم،
 كلهم عارف تمكنة وحرمة، فلا يرحون حتى يعطى التال سؤله مما
 سأله . قال معاوية . هو كان في ذلك الوقت يعرف موضعه .
 قال عبيد . نعم بمعاوية . . سمع الحور تعلب على أجزاء كثيرة من
 الكتاب ولكنه حوار إنسان يعرف ما يسمع من أسرار فاست
 تسبح من معاوية هذه لعبارة كثير يعقب على حقيقة يحكيها عبيد
 وكذلك بلعي . فما أكاد نص إلى آخر الكتاب حتى يرى معاوية
 يقول عبيد . والله ذلك يا عبيد . الملك لتحدثني عجباً . ما شدي

عنهم (يعنى ملوك حمير) وعن أحبارهم وما كان منهم أحد غيرك...
فمعاوية إذن لديه علم ما يقول عبيد سمعه من عمره من قبل فهو
حين يناقش إنما يعترض على بعض ما يخالف ما سبق له أن عرف
من روايات الرواة الآخرين.

وقد قال المسعودى فى مروج الذهب: «كان لمعاوية بن أبى
سفيان ساعات من كل يوم يقعد فيها فيحضر عليه الدفاتر فيها سير
الملوك وأخبارها والحروب والمكائد فيقرأ ذلك عليه عليان
مرتبون». فالحديث الذى يقصه عبيد يعرض على ناقد نصير لا
يتلقاه منه مسبا. إنما هو يعترض دائما سائلا أو متكما أو مستريدا
أو مناقشا حتى أننا نرى معاوية يعرض على روايه قصه يحكيها
عبيد على لسان لاش فيقول معاوية: «يا عبيد ما كنا نحن هذا
اشعر الا لدى نواس». قد عبيد: «يا أمير المؤمنين قرب هذا
وبعد الآخر» وكان رسم هذا هو أن على لرواه. فاما القول
هو الذى بعث محمد بن القدر روى هذا الشعر وأن دا نواس علام. .
فالسامع ادنى يد من الراوى أن يحقق كل ما يقول وأن لا يتعارض
مع الرواة السابقين، فان تعارض معين معاوية النافذة النافذة عرف
وجه التناقض ومكانه. وبصيرته الواغية تريد له تفسيراً

وأنا أحب أن أسوق كل هذه المناقشات لأرددها على ما ستنتج
لذلك نرى حين نصار من أن الكتاب لم يكن مجالس حقيقية وإنما

مؤلف على صورته المحال . اد يخرج الدكتور نصار بأن الكتاب
من جمع ابن هشام وأنه عمل فيه ما عمل في سيرة ابن اسحاق
كما رده على ما ذهب إليه الأستاذ كرمكو من أن عبيداً شخص
حيالي لا وجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو الرقي
أو محمد بن اسحاق مكمل له المؤلف ما ينقص كتاب وهب
منه من أخبار .

ومن باديء ذي بدء قد ذكرنا أن هناك اختلاف في لفاف بين
الكتاب ، فيها وهب ينقص قصصه هدف إبرارها ، ونوصح
ما تحمل من مصامين إنسانية عامة ، منبعا للسلس التاريخي وماذا من
خلق العالم إلى سيف بن ذي يزن آخر ملوك بني حمير . يرى عبيداً
يقصد قصداً إلى المظنة والعبرة ، ويحذى القرآن الكريم خطوه
خطوة ، وبعبارة الدلالات الإسلامية دون غيرها .

فالهدف مختلف في الكتابين ، من إن كلا منهما يمثل اتجاهات
من اتجاهات عصر التجميع . كذلك كشفنا لك عما في محال معاوية
وعبيد من مناقشات سندها عقلي مره . وهو اختلاف ما يرويه عبيد
عما يعرفه معاوية . وسندها نفس مره ، وهو العصبية التي تطل برأسها
حيناً عند عبيد ويدها معاوية . وحيثا عند معاوية نفسه مما يكسب
المجالس صدقا وحرارة لا تنافي لمن يؤلف المجالس تأليفاً .

ولدى دعا الدكتور حسين نصار ، ولأستاذ كرمكو إلى هذا

الفرغ من وجود أحبار مروية عن البحترى عن محمد بن إسحاق، أو عن
الشعبي أو غيره . و لو وقع أما نسطر هذا إلى أن نقول ما قلناه في
كتاب وهب من أنه كتب مرتين . مرة حين رواه عبيد والآخرى
حين أعيدت صياغته على يد غيره . والواقع أن الأمر في كتاب
عبيد أسهل فانهى أنه - نسخ كتاب عبيد كان حرصا حين يصيب
شئنا من عنده أن يسنده إلى من أحدث عنه . فهو يصرح في صفحة
٢٧٨ من طبعة حيدر آباد قائلا . وذكر محمد بن إسحاق في غير
حديث عبيد من شريه . وهذا معناه أنه يلقت سطر إلى أنه يستطرد
ويخرج عن الكتاب الأصلي فيورد خبراً جديداً يسنده هنا إلى
ابن إسحاق . ويستمر في سرده للحبر حتى يهتدى منه بقول . ثم
رجع الحديث إلى عبيد . وهو حين يأخذ من كتاب وهب بقول
في صفحة ٢٧٩ . وفي حديث وهب من منه أن . ثم يعود بعد
ذكر ما أخذ من وهب بقول . ثم يرجع الحديث إلى عبيد . فقوله في
غير رواه عبيد أو في غير حديث عبيد يفتح الأدهان في الحال
إلى موضع الإضافة . كما تشير عبارة رجوع الحديث إلى عبيد إلى
عودة اتصال الحديث إلى الكتاب الأصلي ..

وكأنما السج يحترق الاحبار الذي أياه عبد معاوية فهو
حين يمدح بقص في رواية عبيد بكلمها من مصدرها . و لو وقع أن
المتسع لهذه الإضافات يرى أنها إما إيراد لقصة عبيد حدثت بعد

موته كالرواية التي ذكرت عن سمرقند وما كتبه أحد ملوك حمير على حجر عدها ، ويقول معاوية بعد أن يسمع حديث عبيد ، اللهم أرنا صدق قول ابن شريه فإنه يذكر غيب . ومن شاهدني فعل ذلك ، إذ تسمر الرواية هكذا ، فلعني عن اشعبي أنه ذكر عن رجل من حيوت همدان ، إلى آخر الحديث الذي يؤكد صحة ما قاله عبيد . والإصافه كما ترى تكملة من عبد الناصر . . . وبعض الإصافات هي بسبب إلى وهب تحقيق الأوصاف التي يرويها عند أمالي روت عن من اتفق قطعها إسلامي متأخر .

فالكتاب إذن صور فنية غالية حقيقية ، وما جاء فيها كالألف المقصود إليه هو من وضع السامع وإضافاتهم لإكمال الكتاب وصبط ما به من ناقص مع ما حفظه الرواة السابقون بعيد من شريه

وكتاب عبيد يكثر ما أو دة من شعر ، وقد كان معاوية يطلب شعري أعفاه عبيد حتى لم يبايع ملوك بين بأسره يأتي على لسان ملوكها شعر ، ومهما كان الأمر في هذا شعر فهو موضوع لاشك . ، لا أنه بوصفه هذا يعتبر نوباً شعرياً هذا التاريخ ، حتى أنما يرى في تاريخ بع الأول وسط ذخيرة شعرية صحمه بحكي كل أحداث حياته مما يحتاج إلى جمع وداسة على يكون في مجموعة ملحمة شعرية ترد على أصحاب الرأي الذي يقول إن العرب لم يعرفوا الملاحم .

الملاحم الشعرية

لعم البصر يعتبر أن الحديث عن الملاحم العربية في مثل هذا البحث الذي ساول فيه الرواية فصولا واستطراداً . ولكن الحقيقة أن الحديث عن هذا الشعر الذي يسرد أحداثاً قصصية ويكاد يقترب بشيء من المعالجة وادّمع والتوفيق من الشكل الملحمي حديث مهم في بحث الرواية العربية بصفة خاصة . فالظاهرة الأساسية التي تلمعت بظر الدارس في هذه الروايات أن الشعر يرد على لسان جميع الأبطال بلا استثناء . سواء كان هؤلاء الأبطال من يقولون الشعر ، أو من يمكن أن يقولوا الشعر ، أم كانوا أمم . ما يكونون عن هذا بحكم رسم شخصيتهم وتحديد بيتهم ورمز وجودهم . . فقد يكون مقبولا مثلاً أن يرد على لسان طفل جاهل قريب من الإسلام شعر عربي . ولكن ماد نقول فيما روى على لسان آدم أو نوح من شعر مثلاً فهو بمرئيه في كتبه لبيد أن يروي شعراً على لسان آدم قاله في دناءه هابيل حين قتله أخوه قابيل يقول فيه .

أيا هابيل يا ثمر القواد أبعد العين مسكك الصريح
ويدحر وهب في جلال حول هذا الشعر وكأنما يحاول أن

ثبت صحة نسبه إلى آدم فيقول : قال جبر من مطعم هذه القصيدة
ليست لآدم ، هي منحولة . وقال بن عباس : تسلم آدم بجميع
الأسس التي نطق بها نوه من بعده من عربى وعجمى ، وهذه الأسماء
لم تعلمها الملائكة . .

وهذه المنحولة لسادحة تثبت أهمية الشعر عند هذا الروى
الكبير الذى تراه في كتابه بكم عدد ذلك لا يكاد يذكر حادثه إلا
ويوردها شعر . ولا يكاد يذكر مقالا من أصل حكايته إلا
ويورد على لسانه الشعر . وأنت تحس في طريقة إيراد هذا
الشعر أنه يكاد يؤمن بصحته وصدقه . ونحن نصح أيدينا في
كتاب عبيد بن شربة الحر مى على تفسير هذه الظاهرة التي بها
منكرده في كل كتب القدماء التي تعنى بالتاريخ واقصص والأخبار . .
نرى هذا التفسير فيما نرى على لسان معاوية في حديثه مع عبيد
يصر على أن يسمع منه شعرا في كل ما يقرب من أحداث .
يقول معاوية عبيد . سألتك إلا شئت حدثت بعض ما قالوا
من الشعر ولو ثلاثة أبيات . . ويقول له . وأنت قد أتيت
وذكرت عمّا من حدثت عن عاد . وقد علمت أن الشعر ديوان
العرب . والدليل على أنه ديوانها وأفعالها ، وأحكامهم في الحادثة .
وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن من الشعر
الحكمة) قال عبيد . لقد صدقت يا معاوية ولقد سمعت ابن عمك

(عند الله بن العباس) يذكر عن رسول الله ذلك ، وأحسبك
بمعاوية أنه لما كان من وفد عامه كان وما قد حدثت عنه .
وصارت عاد ووفدها أمثالا وأحاديث فاق العرب فيها أشعاراً .
مهما حفظناه ومنها ما لم نحفظه . قال معاوية . فهاست اسمعي
ما حفظته من ذلك .

فطرة الواء إلى الشعر تعدد ماله من أهميه عند قوم وعد الشعب
العربي الذي يتلقى ما يروونه من قصص ، فهم لا يتصورون حادثة
تقع في حياء كبير أو صغير دون أن تهاب فيها شعر لأن الشعر كما
يقول معاوية ديوان العرب والدين على أحاديثها وأفعالها .

وبس معنى هذا أن كل العرب شعراء . ولا أهم كماهم يقولون
اشعر . وإنما معناه أن العرب تعرف دواوين يسجلوا أحداثهم شعراً .
فالحادثة لا تعد صادقة عنهم إلا إذا كانت قد حلت في شعر أحد
شعرائهم . . . دلائل ذلك ما نشهده من عند في رده على معاوية
في ذلك الحديث الذي أورده ، إذ يذكر له شعر أخاله أبو سعيد المؤ من
عند هلاك عاد ، ثم شعر آل العباس بن مرداس يعطر رجلاً من قومه
كان طالما بعشرته وبجرده عن الصم ويذكر له عاد وهلاكها ،
ثم شعر آل العباس بن مرداس أيضاً يذكر الحادثة ويخرج منها بحكمة .
ويذكر بعد هذا شعر أعيان آل أسدي يحاطب بهما
ابن المنذر . وشعر آل الأعشى بن نصر أعشى بن وائل . ثم

شعراً يقوله أسد بن ربيعة السكابي . وشعراً على لسان كريم
ابن معشر النخعي . وهنا وبعد كل هذا الشعر يقتنع معاوية ويقول
دته درك يا عبيد . حدثنا عبيد بن أسد بن عبد الله القادر على
ما يشاء من أمره .

فدليل صدق القصة إذن أن بدو لها اشعراء في شعر هر على مر
العصور ، يذكرونها متخرجين منها لعبر والمندوس . ولله ومجن
رى كل كتب لأخبار تحاول أن تؤكد صحة الخبر بطريقتين :
الأولى هو رفعه إلى قائله عن طريق سلسلة من نسب تحاول أن
تسندة آخر الأمر إلى أحد انقبات . والثاني هو أن تورده ما قبل
في هذا الخبر أو في حدود الرواية من شعر . وليس عجيباً إذن أن
رى معاوية يقول لعبيد إثر روايته للشعر : لقد جئت بأبرهان
في حديثك يا عبيد .

إلا أن أمر الشعر في هذه الكتب ينقسم إلى قسمين : الأول
هو ذلك الذي يرد على لسان أبطال الحادثة أنفسهم ، أو على لسان
معاصرين لها كالشعر الذي يرد على لسان آدم وهود وطسم وتبع .
وهو القسم لاشك مؤلف وموضوع . . وثاني شعر ينسب إلى
شعراء معروفين كالعباس بن مرداس وأعشى بن وائل في القصة
التي حكيت لك . وينسب إلى حسان بن ثابت وأمرئ القيس
وأمية بن أبي الصلت وعبيد بن الأبرص والثناينة الديلمي وتأبط

شرا وغيرهم .. وهذه الأشعار لبعضها موجود في ديوانين
هؤلاء الشعراء .

والنوع الثاني من هذا الشعر كان يعنى عدد المتكلمين صدق الخبر
وصحة القصة ، ولكنه يعنى عددا وحوادث القصة نفسها في أساطير
العرب وانتشارها وتداولها بين العرب كجزء من ترويحهم وحكايتهم ،
وكحقيقة إما تاريخية وربما أسطورية تكون حراما من معتقداتهم
وتراثهم لفكرى ..

أما النوع الأول من هذا الشعر وهو الذى يرد على لسان
أبطال له حصص وما عساه واهم طويله . وسر هذه الوقفة هو أن
هذه الطائفة تستمر في الرواية العربية بعد هذا استمراراً يجعلها
طائفة مكملة لتأليف الرواية العربية . فهذا النوع من الشعر ، أى
الشعر الذى يرد على لسان أبطال الحادثة ، يحده في القصص التى
يحكيها وهى التى يحكيها عند ثم في قصص التى ترد في كتب
الأساطير وكتب السيرة ، وأما بعد هذا في كتب التأليف وتستمر
معاً بعد ذلك في كل الروايات الشعبية التى ألف أو شعبة لتناول ،
كقصص عنزة بن شداد ، وقصة سيف الدين ، وقصة الأمليرة
دات الهمة ، وفى ألف لله واجبة ، وتعزية بن هلال ، والطاهر
بيبرس . وهى في هذه القصص تبدأ من الشعر الذى يشاهد الأشعار
الجاهلية لتأليف إلى أن تصل إلى الشعر القريب من العامة ، إلى

أن يجدها بمصباحه في سيرة بني هلال . ويتطور الأمر كذلك في استعمال هذا الشعر حتى يجده في آخر مراحلها قد عد هو وسينته الرواية نفسها ، فأسفل لا يتكلم في هذه القصص إلا شعراً تتخلله بعض الحمل البشوية . . وهذا سدح المعنى يمكن اعتباره لمؤثر البياني لدى يدل على درجة الانفصال للمعنى ، ومدى اتساع اهوية التدرج بين لغة الكتابة ولغة الناس . ويمكن عن طريق هذا التمتع معرفة أساليب ذلك ودوافعه . بل ويمكن إقامة دراسة لغوية كاملة تسير تاريخياً واجتماعياً مع مجتمع العرب في عهده وتطوره ، وفي ازدهاره وانحطاطه . .

والواقع أن هذا الشعر لم يدخل هذه القصص عشياً ، وإنما كان دحوله فيها أساسياً وجوهرياً . فهو أولاً يكون عموداً فقرياً في كل قصة ، ترتكز عليه الأحداث وتدور حوله . والشعر كشعير قولي مفهوم أسهل حفظاً وأقرب إلى التصوف ، وليس من الحديث الثرى المرسل . . وهذا ما قطع الشعرية سدو كانت كنه التي يستند إليها الرواة في حفظ القصص كلها . ويؤيد هذا أن معظم ماورد من شعر إما يروي الأحداث مرة أخرى على أسان بطن من أنطون هذه الأحداث . يرويها مرتبة حسب وقوعها ، وهو وإن كان يمزج في هذه الرواية الشعرية بين الأحداث الخارجية وبين موقفه النفسي منها كمشرك فيها ومتأثر بها . إلا أنه في آخر الأمر وثيقة

منعونة تحفظ الحدث من لزول مما يبيحه من يسر من الحفظ
والرواية . واهل هذا أيضاً هو الذي جعل حجة العرب في حديثهم
مائة كذبوه به من شعر . حتى أصبح بت الشعر دليلاً لا يقبل
المناقشة على صحة ما فيه من أسماء وأحداث وصحة ما روى ها
لست فيه من حدث وناس .

والشعر ثانياً يدخل مكملاً للحوار . بل يدخل في بعض
الأحيان أساساً في الحوار ، وفي المشاهد التي يقف فيها القاص عند
حوار يسرده في أطراف فلا بد أن تسمح عادة مساحته شعرية تدور
بين أطراف هذا الحوار . ويظهر هذا بوضوح في مواقف الصدم
والصراع . يستوى في هذا الصدام العكري والصدام الحزني . .
وفي قصة هلاك عاد التي يرويها عبيد يدعو هود ربه على عاد أن
يتليهم ثلاث سب من القحط فاستجاب به الله . وها تبدأ
مساحته شعرية كلها من عام من هذه الأعوام ، يروي عبيد شعراً
على لسان أحد المؤمنين مشعياً بما حل بعاد منذراً للكافرين ،
ويرد عليه أحد المشركين شعراً ويدكر في شعره أن السنين حلوة
ومره . وأن ما حدث ليس نتيجة دعاء هود وبعاداً هو أمر طبيعي
لا دخل لهود فيه . ثم يمدح عاداً ويشيد بذكرها ويعدد مآثرها
ومناقبها . وتستمر هذه المساجلة في كل عام . . وعبيد في كل

مساحة من هذه المساحات الثلاث يذكر اسم أحد المؤمنين
وما قال من شعر ، ثم اسم المشرك الذي رد عليه وهكذا .

أما في المعارك الحربية فأتت تجدد هذه الطاهرة أوضح
ما تكون في سيرة عنتره بن شداد ، فما يكاد عنتره يتعرض لأحد
الفرسان حتى يبادره معارفاً مشاهياً ، ويرد عليه عريته في الحان
شعر من نفس البحر والقافية معارفاً أياه ومعارفاً نفسه
مشاهياً بقوته مدلاً بقياته وأهله ولا نعى سيرة عنتره حتى
حصومه من الفرس والروم من هذه المساحة الشعرية التي تسبق
كل التحام بالسيف ، حتى لتحسب أن هذه المساحة تقلب حرق
تواضع عليه الناس . فيقبل اعدوان كل على الآخر مشرعاً لسانه
قبل سيفه . .

والواقع أن هذه المساحات التي تدحس في الحوار القصصي
كثيراً تكاد تكون أقرب الصور التي عرفها العرب إلى الأعمال
المسرحية . فالمشهد القصصي يقف تماماً من ناحية السرد بينما يعلب
الشعر الحوارى هنا على كل مقام القصة . ولعلنا نستطيع أن نقول
إن استعمال الشعر في الحوار هنا له دلالة الغية في تصوير الصراع
وتجسيده . وفي إبراز المعالم النفسية التي يقوم عليها هذا الصراع .
فالحاجة إلى الشعر هنا ليست فصلاً وإيماء هي حاجة فنية تعينه في
تجسيد المشهد وتجييسه . وفي إبراز الدلالات التي تحيط به من

كل نواحيه . وهي متكاملة في هذه الحانة مع لسرد بحيث تعدو
وإياه كلاً فنياً متكاملًا . .

والشعر ناشأ يرد على لسر أبطال قصص وشحوصها لرسم
موقفهم من الأحداث ، أعى أن الشعر في يد القاص أداة لتعمير
عن الإبعادات العسية . وهو أداة لتصوير الحب الذي
لا يستطيع السرد الثرى أن يصوره بأمانه ودقه تامتين . ويبدو
هذا في أروع صوره عدوه ب من منه في قصة مصاص ومي
قصة حب الخالدة التي حكيت لك من قبل . . في حب نقول .
مصاص غدوت احب والحب صادق

والحب سلطان يعز اقتداره
عدرت ولم أغدر وللمهد موثق
وليس في من لا يقر قراره
إد جاوى ليس تملكت بالدى
دعا ككدى حتى تمكر صاره
أبيت أقاسى النجم والليل داس
والنجم قطب لا يدور مداره
إذا عاب لم أشهد وكان محله
على ودارى حيثما كان داره

إذا هاج معدى لأول غيرة

علاه اشعل ما يطلق استعاره

فى هنا تعبر عن لون الحب الذى تعانیه . ثم عن لون العيرة
التي تقاسمها تعبيراً يفوق كل ما يمكن أن يقوله القاص واصفاً
حالها النفسية ومحددأ مقدار هذه العيرة التي آ كالت هذا الحب
لمعظم أكلا . ولخوء افاص . فى الشعر هأ أمر لا مبر منه إن
أرد أن يكون صادقا صدقا فنياً فى تصوير أظلال قصته . وهو
يرسم موقف مصاعب من مى نفس الطريفة . ويورد على لسانه
شعراً عذبا رقيقا معذبا إذ يقول :

سأترك بالرحمن لاتجمى هوى

عليه وهجرانا وحبك جاره

فإن لم يكن وصل فلفظ مكانه

إليه وإلا موطن الموت داره

الشعر هنا - كما نرى - ليس قصولا ، وإنما هو تنعير فى وسيلة
التعبير اقتضاه الموقف واضطرت إليه الأمانة .. وليس من الأمر
فى شيء أن يكون هذا الشعر موضوعا أوراثا . وإنما يكفى أنه
عبر حين نحر الثر أن يعبر . وأنه استطاع أن يقن إلينا ما يريد
القصاص أن يصوره من حال مصاض ومى .

وهو يبدو أيضاً عند عبيد من شربة في أروع صورهِ فيها حكاية
على لسان لقمان من شعر عند موت كل نسر من السور السبعة التي
وعده الله أن يعيش عمرها جميعاً . . . فعبيد يقف عند كل نسر منها
يذكر كيف عز عليه لقمان ثم كيف عاش مع لقمان ثم كيف
مات النسر وما قاله فيه لقمان من شعر . . . وأنت تحرق هذه القطع
الشعرية تدريجاً نحو اليأس والمرارة والخوف يرداد شدة من قطعه
إلى قطعة حتى يذ ما وصلنا إلى القطعة السابعة وجدنا نعمة اليأس
والمرارة تصل إلى ثمتها . . . بل تكاد القطعة الأخيرة هذه التي يرثي بها
النسر الساع ونفسه معا تكون صرخة عميقة الجنود تحمل كل
معاني الأسى واليأس بل واحتق الملى «المرارة» .

وهذه القطع التي يوردها عبيد على لسان لقمان تحكي إحساس
رجل يموت سبع مرات ، عند موت كل نسر يحس أنه يقترب
من الموت خطوة ، ويوقظه موت النسر لخطوات يترعه فيها من
الحياة ليريه النهاية المحتومة المقدره .

ولست أحسب أن له يمكن أن تعبّر عن مثل هذا الإحساس
قدر له الشعر ، وست أحسب أن العاص حين اختار الشعر
كأداة يعبر بها عن هذه المراحل من قصته إلا صادقاً صدقاً فتياً
مهما كان رأينا في صحة نسب الشعر إلى لقمان

فاستعانة القاص بالشعر هـ ليس فضولاً ولا حلية ، وإنما هو
 لجوء إلى أقرب الأدوات إلى التعبير عما في داخل النفوس ،
 واستعانة بأدق هذه الأدوات جميعاً وأكثرها إبانة . . والقصاص
 العربي هنا إنما يستعين بالشعر ليعدم ما نسميه نحن في القصص
 الحديث بالمولوح الداخلي . ويتنوع بواسطة الشعر ما نسميه نحن
 في النقد بالحدث بالحركة الداخلية لمعوس الأبطال . . فالشعر في
 هذه الحالة يكمل الصورة ويعطيها عمقاً ويرسم طلائعها وألوانها .
 ويخرج لقصة من مجرد كونه سرداً حامداً تأريخياً لأحداث
 أسطورية ذات دلالة معينة لاتصح إلا في النهاية ، إلى قصة حياة
 تعيش في وجدان الناس بما لشخصياتها من حياة حقيقية فنياً ، يعيشه
 بالإفعالات والإطباعات ، عامرة بالمشاعر المختلفة المتباينة
 المتضاربة .

والشعر رائعاً يأتي في آخر القصة أو بعد نهايتها رمنياً لينقل
 المصموم الذي أراد القصاص من قصته . فالقصاص يستعين
 بالشعر يرويهِ على لسان أبطال خياليين أو على لسان شعراء حقيقيين
 ليعطي المصموم الذي سعى إليه من سرد قصته منذ بدايتها . . وهو
 في هذا يهرب من مراد هذا المصموم تقريراً على لسانه هو أو على
 لسان أبطاله ، فيهرب هذا من الخطائية والوعظية في قصته التي
 يتركها تنتهي نهاية طبيعية دون أن يحس هو بحكمه إلا أنها ندر . .

ثم يأتي بهذا الشعر ليعطي كل ما أراد دون ما اقتضت على جوهر قصته وفنيته وأسبوب سردها .. والشعر في هذه الحالة عالياً ما يكون جمعاً لما قاله الشعراء المعروفون في الحادثة التي يذكرها والقصة التي يعيها .. كما فعل عبيد في حديث فتاة عاد .. وهي في بعض الأحيان تأتي على لسان شخصيات خيالية يخترعها انقاص ليخرج بالخمسة التي يريد كما فعل وهب في أكثر من موضع . ولعل هذا يفسر ظاهرة وجود أبيات الحكمة في آخر القصائد العربية كسقليد من تقاليد الشعر العربي .. لعل هذا تقليد أخذ من هذه الظاهرة التي نلناها في القصة ، فهو وإن كان غرضاً قائماً بذاته في القصيدة فهو في القصة شيء مكس . أو هو البسة الأخيرة التي يتكامل بعدها العمل الفني ويعدو وافيأ بكل ما أراد منه ..

ولجوء القصاص إلى الشعر هنا إنما يبسر له أمرين : الأول هو التدين على صدق قصته بما قال فيها شعراء من شعر ، والثاني أن يحفظ هذا الشعر الذي تركز فيه كل تجربة القصة فيعدو كالأمثال المتداولة على ألسنة الناس ويذكرهم دائماً بقصته . والمعروف أن معظم الأمثال العربية إما أبيات شعرية . أو شطر من البيت ، أو كلام مسجوع موسق يسهل حفظه .. والمعروف أيضاً أن كل هذه الأمثال إنما ترمز إلى قصص يعيها .. ولكن لعل أهم ما يستفيد القاص من لجوئه إلى الشعر هو هروبه من ورود الأحكام على

لسانه هو وتخلصه من الأحكام والمصامير لإبرادها على
السنة غيره ..

وبعد فلعلنا الآن قد وضعنا أيدينا على سر هذه الظاهرة التي
تلفت النظر في القصص العربي، أعني طهره ورود الشعر فيه بكثرة
وحسية . ولعلنا نفهم الآن سر إصرار معاوية على أن يورد عبيد
ابن شريق شعراً في كل ما يقرب . ثم لعننا نذكر سر اطمئنان معاوية
إلى كل قصة يعصدها لشعر وبأن في ثيابها

إلا أن هذه الظاهرة حاسماً آخر لا يقف عن اظاهرة نفسها
خطوره وأهمية .. في قصة عاد الأوسط مثلاً . يرى عبيد بن شريق
يذكر على لسانه شعراً يصف فيه حربه مع القرس يبلغ ٢٣ بيتاً .
ثم إذا يتوجه نزع إلى الشام يقول في ذلك شعراً يبلغ ٣٥ بيتاً .
ثم يقف ليذكر قوته وحروته وسيطوته في ٤٣ بيتاً . . . وحين رل
نبيع إلى عمدة قال يذكر آتاه الذين ملكوا فيه الحصون التي كانوا
يرلون فيها باليمن في ٤٤ بيتاً . . . فلما رجع نزع من عروانه مر بالمدينة
وترك فيها منه حالداً فقتله أهل المدينة فقال في ذلك شعراً يبلغ ٤٧
بيتاً . ثم يعود ليقول في نفس الحادثة ٣٩ بيتاً . ثم يقول في بومه
الحرب له بخروج النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعده بدعوة الحق
٢٤ بيتاً . فإذا ما قتل الحسين اللين أوداه له الهلاك وعرو الكعبه
قال في ذلك ٢٢ بيتاً من لشعر . فإذا ما كسى الدب العتيق قال في

ذلك ٥٠ بيت من الشعر . وقال تبع يمدح قومه ويفخر بقوته
ونفسه ٥٤ بيتا . وكان تبع عرف لاجلهم وقال فيها من الشعر ٥٦
بيتا . وقال تبع في وصفه من البيت ٦١ بيت . ويستزيد معاوية
عبيد من شعر تبع فوجد له عبيد من شعره ٥٢ بيتا . وقال تبع
في حربه للأحمر بن حنظل القصص عبيد ١٠٢ بيتا . وروى
معاوية فيسريده من شعر تبع فيذكر له عبيد ٢٣ بيتا قاله تبع .
ثم يذكر عبيد ابن تبع حين وقف أمام لبس الحرام قال في الزهد
١٨ بيتا من الشعر . وهكذا يطلع ما جاء في كتاب عبيد من سيرة
الجرهمي من شعر علي لسان تبع ٦٩٤ بيتا من الشعر . يسمي روى
وهب بن منبه في كتابه النيجال كثيرا من الشعر على لسان
عاصروا تبعاء وكان لهم دور في نفسه ، وروى ابن اسحق في السيرة
أبياتا كثيرة أخرى حول تبع لأكثر من قتال

وهذا الشعر كله إيماني وفيه تبع سيرة حياته كاملة ، عرواته
وفتوحاته ، معاركه وادبائه ، ونزوحه كلها بتأملاته وآرائه .
كما نصح في هذا الشعر ما بين الأصواء حول معارف العرب في عصره
سجود وشموع ولصاعات ، ونسج أصبا عاداتهم وتقاليدهم في
السم والحرب . وسكمل لأشعاره في "الكسب الأخرى
الصورة كما ترمم حوشها من أطر ، وماتوا نسج من مرافف بعض من
اشتركوا بفعل في حياة تبع .

وقد تختلف في قيمة هذا الشعر من ناحيته التاريخية والفنية .
 فاشعر لو ارد على لسان ناع موضوع قطعاً ، و لشعر الوارد على لسان
 غيره قد يكون موضوعاً وقد يكون صحيحاً . . والشعر في حد ذاته
 قد تكون له قيمة فنية من حيث الدلالة على نفسه مع ورسم
 آياته واحلامه ، وصلى الأحداث الخطيرة الى عاشها في نفسه
 وقد تكون دلالاتها من هذه الناحية ضعيفة . بل إن هذا الشعر
 قد يكون من الناحية الشكلية نحتاً موضع نماش و حدال . ولكن
 الشيء الوحيد الذي لا جد فيه هو أن هذا الشعر لو جمع بعضه
 الى بعض وربط شعرياً بالمرء الثمرات لأكل عندنا ملحمة طويلة
 . هل نحتاج عن ٦٩٤ مائة و مائة و مائة في كتاب عبيد ، وإن كان
 من المرحح أن نريد أن يمكن إضافته إليها من المكتب الأخرى
 والروايات التي حامت عن غير طريق عبيد . وهي من حيث
 قيمتها الملحمية حصيرة القصة لأها نسوق في عصر . و دها وتدوينها
 الكثير من النصوص الخاهية نفسها . فهي واحدة هذه من اسبق
 الأعمال الشعرية . وقد يكون واضعها عبيد وقد يكون عبيد مجرد
 راوية ، وفي هذه الحالة نصح عملاً شعراً ملحماً مجهول المؤلف
 لحقيق ولها تسجل . . مع حصة ملك عروى حطار الشأن فتح كل
 اعلم معروف في عصره آيات . و صرت نسيم في العيون المعروفة
 في عصره . واعلم : و حطار في حياة الحرية العربية والأديان

العربية ، إذ المعروف أنه إنما كان يحارب لقتل أهل الشرك وأنه هو الذي حمل دين الله ديه إلى الناس ، وأنه عظم ووقر الكعبة ثم تنبأ ظهور محمد عليه السلام

وهكذا تأخذ المأجحة كل مقوماتها من وصف لمعارك الحربية ، ومن رسم مصراع في اجريده عربية حول المعتقدات . أو من تقرير عظمه العرب وعندهم على كل الأمم . ثم تأخذ دلالة خطبه عسها الاسلام كدين . ثم تقدم مدحها اعده كاملاً لهذا الدين وتعلن أن معركه مع ما هي . لا معركة تنهيه بلارض انتي يملأها الاسلام بعد هد بوراوعدا

وهذا الذي ذكره عن هذه المأجحة يحتاج إلى دراسة مفرعة كاملة على أحد الدرسين أن يعنى نفسه بها فيقدم لنا صورة للمأجحة العربية لدى رعاة الساجون أهم ما نوجد كما أن هذا الذي ذكره عن نوع ليس لاهل الصغر أو وسط مثبات الأمثلة التي يمكن تدعيمها القصور على ملاحية أخرى لا تقصر روعه في هذه الكتب الأولى .

وبعد فأحسب أن ندى حرمنا إلى هذا كله هو ما لاحظناه من كثرة الشعر في كتاب عبيد . نعل هذا يكون قد سافنا إلى شيء له قسمته في دراسة القصص العربية والشعر لعربى جمعاً .

كتب السيرة النبوية

تكون كتب السيرة العصر ثالث في عناصر المكونة لهذا العصر الذي نسميه عصر لتجمع في الرواية العربية . . . فبينما يرى كثر مذهب إلى جمع الأساطير والروايات العربية بجره من التراث الأسطوري وإلى العرق ودون أن تعنى عناية حقيقية بتطويع انقصه أو الأسطورة لمضمون دون آخر مثلة في كتاب شيخنا لوهر من منه . . . يرى كثرأ مذهب إلى جمع الأساطير والروايات فاصدة هذا المجمع إلتفات المضمون الإسلامي . . . ومنهينة . . . لقصه شبيب المعنى الجديدة التي جاء الإسلام لينشرها . . . وهي والحال هذه لا تدرى على الإطلاق مع القصص القرآني . . . من تكاد تكون إمتداداً له وتكملة . . . وهذا ما تعرضت لقصص ليس بالقرآن فهي تصعب فيه من الدلالات ما يتفق والقرآن . . . وهذه الكتب تمثل في كتب عبيد بن شريك الحرهمي الذي يتكلم بحالسه مع معاوية بن أبي سفيان . . . كما ترى أنجاهان في جمع الحكايات العربية والأساطير النبوية . . . أما الإنجاه الثالث فهو الذي يتمثل في كتب السيرة . . . ولعل قوماً . . . كتاب السيرة النبوية لاس احتق الذي رواه ابن هشام .

ومح من بهم كتب السيرة إلى الأعمى القصص إلى نسند
إلى طبيعة هذه الكتب ومهجه كما تستند إلى تاريخها وتطورها .

والعرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن لهم من
مادة للتاريخ الأسطوري والقصص إلا ما كل شأناً منهم من
أخبار ملوكهم وأحاديثهم الأوليين ومدى حياته هؤلاء من أحداث
انسمت أعينها بالسمة الأسطورية وغمقتها الحرافة إلى حد كبير ..
ولكن أكثر هذه الأحداث ما عرفوه عن طريق التبيين من قصص
تتعلق بموكبهم وأنظمتها ويستطيع أن يصيب إلى حد ما آباء
العرب وحرورهم وما درجوها من حكايات . إلا أن هذا كله
مهما حاول انصاصه والمؤرخون أن يقولوا من أساليب الجاهلية
فلا شك أنه ظل يحمل في طياته روحاً من أساليب الجاهلية والتقاليد
الجاهلية . ولذلك لم يكن من العجيب أن يجد انصاصون
المسلمون يحكمهم إلى المؤرخين الجاهليين الذي أباحته لهم دعوة محمد .
وما روى أصحابه والقبائل من أحاديث عن ولادته صلى الله عليه
وسلم ، وعن حياته وكما حقه ، وما جعلت به هذه الحياة من حركة
وحياة وانصدام بأهل الشرك . بهذه المادة نقسده الراية ليست
مصدراً ثراء وحسب من هي مصدر تنفق مع الروح الجديد الذي
ملا أعطاف الأمة العربية بعد الإسلام . ويلازم كل التلاقم مع
رغبات المثقفين الذين شعروا بالإسلام عما عدها ، فكان أقرب إلى

قلوبهم أن تكون الأعمال المذمومة أم لا تقوم على صاحب الدعوة وعلى أحداث الدعوة .

وإذا كان هذا السبب الذي أوردناه يعتبر سداً منطقياً فهناك سبب تاريخي دفع به هذا الاتجاه لقصص في سرد سيرة النبي وأحداث حياته . ذلك أن لقن المحدثي الأول مصيحيه دون أن تدون الأحاديث النبوية تدويناً له صبيحة رسمية وعندهم نحر حوا أن يفعلوا ذلك فيجعلوا إلى حرك كتاب الله كتاباً آخر . وقد روى عن الزهري أنه قال : أحرق عرويه من الزبير أن عمر بن خطاب أراد أن يكتب السنن ، واستشار فيه أصحاب رسول الله ، فأشار عليه عافهم بذلك ، فلبث شهر أ يستحضر الله في ذلك شاكاً فيه ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له ، فقال : يا كمت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ، ثم قد كرت هذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتاباً فأكبر عليها وتركوا كتاب الله ، وياي والله لا ألس كتاب الله بشيء .

فأنت ترى نحر هج عمر من تدوين الحديث والمعروف أن الحديث لم يدون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن . بل لقد جاء في الأحاديث نفسها ما يهي عن تدوين الحديث : منها ما روه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى

لله عليه وسلم. ولا تكسبوا عني. ومن كتب عني غير ان قرآن فليمحجه.
 وحدثوا عني ولا حرج. ومن كتب عني معصية فليدبره الله ما يشاء.
 وهكذا روى القبر الأول بمصر في نسخة واحدة وليس هناك
 كتاب يجمع آثا الرسول ويقدمها الناس. إنما كل ما في الأمر
 أن الصحابة يحفظون ويروون. وكان لهذا الحمد أثره. مع حاجة
 الناس إلى أن يعرفوا من أمر حياه رسولهم الشيء الكثير. ومع
 هذا الخطر على كثرة الأحاديث وندبها شأ هذا الاتحاد إلى
 التدوين لتأريخ العباد. لقصص النبأ التي انتهت إليه لكثيرون.
 وأعلمهم وحدوا في هذه ما يتعلق بأمر وحياة وعروانه ما يحقق
 ما في قلوبهم ونفوسهم لما يكسبون من نفع بالرسول.
 وحسب تحليد آثاره.

ولذلك لم يكن غريباً أن يكون من أول المنتصدين لكتابة السيرة
 أناس من أئمتهم والكتب القصص والآثار طبع كبره. من هذه الذي
 كتب في معاني كسراً حنط حله الأربعة وطبعه منه. واحدة
 تناول فتح مكة والحادية وفادان. ويذكر الأربعة مصطفي سق
 في مقدمة سيرة من هشام أن في هذه هذا حرج أن يا فطمة من
 هذا الكتاب. ونقل أن ذكره حسن هذا في كتبه وأشأ
 التدوين لتأريخ إن هذه السيرة من تاريخ العصابة الكبرى
 واجتماع قريش في دار الندوة والنجرة وعرونة بني حنيفة وما يندب.

على أن هذه تدون القصة المكية والمدنية من حياة الرسول ،
إلا أن الصادرة الأساسية في تدوين ~~كتبت~~ السيرة أن معظم
القائمين عليها كانوا من المحدثين كعروة بن الرير بن العوام الذي
حاج ما دونه على هيئة رسائل إلى عبد الله بن مروان حاداً بعضها
عن طريق ابن اسحق والواقدي والصبغى . . ويقول عنها المذكور
نصاراً إنها تمثل أقدم المندوبات التي وصلت إلينا عن بعض الحوادث
الخاصة في حياة النبي ، ولم يكن عروة يجمع لأخبار عن حياة النبي
فحسب ، بل عى أيضاً بحوادث الخلفاء الأولين أيضاً فراه بمسالم
وقعة القادسية وأبرموك وبعض حوادث فتوح الشام ، ويعى
عروة أيضاً بتاريخ الريريين . ولذلك يرى جميع أحرار الحرب
الريرى وحروبه وفتنه مرده عنه في كتب التاريخ . وكذلك
اشتهر بالأبى في المعارى أن بن عثمان ، وعاصم بن عمر الذي
يقول عنه ابن قتيبة : به صاحب السير والمغازى ، والزهرى الذي
يقول عنه الأعمش إن خالد بن عبد الله لقسيرى أمره بكتابة السيرة
له ، وموسى بن عقبة ومعمّر بن راشد ثم شرح راجح السيرة محمد
ابن اسحاق .

وهذه الكتب كلها يذكر عنها المؤرخون أنها غنيت بالشعر
ونماذج الخطب والرسائل . ومن بعض النماذج التي نقلتها لنا الكتب
المتأخرة عن هذه الكتب نجد أنها تكاد تشبه في تأليفها وصيغتها

كتاب و هب و كتب عبيد . و ليس هذا عجيب فاعرب كما عرفنا
 من قبل قد عرفوا هذه الطريقة لروايتها في بعض ما يحتمل ما جاز
 إليه بالول من الأساطير و بعض أحداثه بحاشية الذي يحلق
 المواقف الروائية بين الظلال حلقاً و يجرى على ألسنتهم الحوار
 الشعري حيناً ، و الحوار النثري المصنوع حيناً آخر . و وصلة
 المحرمين العمدتين و أنى كرهت ما من حياة رسول و معاريفه
 و لسا بحسب أن و هب في هذه المعركة خرج على مهجه الذي أسنده
 في كتابه السيجن ، و إنما أقرب إلى النص و المصطفى أن يكون مهجه
 في كلا العليين و واحد لا يتعبر .

فالسب الثاني إذن هو ما حاول به الكتبة أن يسدوا من
 نغمة بحسبها إذ يتمتعون عن رواية الحديث فتجأوا إلى تدوين
 أحداث السيرة معتمدين على ما شاهدوا و حفظوا من أحداث
 حياته الرسول ، و ما وجد من الصحيح الذي تعودوه في التأليف أعني الصحيح
 بقصصه . و كتاب ابن الحنبل يسر على هج كتبه و هب من منه
 من يله بتاريخ الأنبياء من آدم . . . لا أن من هبم حين قدمه في
 الصحيح بها خاصة في عمله بالكتاب ، و صدر ابن هشام كتاب السيرة
 بما يكشف عن دسوره و مهجه يقول .

و أما ابن شاه الله فتدعى هذه الكتب بذكر سماعين بن
 إبراهيم ، و من ولد رسول الله صلى الله عليه رسماً من ولده .

وأولادهم لأصلاهم ، الأول والثاني . من اسماعيل إلى رسول الله
 (ص) وما يعرض من حديثه . وتارك ذكر غيرهم من ولد سماعيل
 على هذه الجهة للاختصار . إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وتارك ما يذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب ، مما
 ليس برسول الله (ص) فيه ذكر ، ولا لعل فيه من انقرآن شيء ،
 وليس سداً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً
 عليه . لما ذكرت من الاختصار . وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من
 أهل العلم بالشعر يعرفها . وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض
 يسوء بعض الناس ذكره .

وهذا الموضع يحدد مكان قصص السيرة من أنواع القصص في
 عصر التجميع هذا . فهي كما ترى تنقسم إلى ما سيرة الرسول ، تحكي
 عن سبقة ماله علاقة بميلاده وما بعد مقدمه لعشه فهي كما ترى
 تروى لتاريخ منذ اسماعيل متبعة من له علاقة لشجرة النسب التي ينسب
 إليها الرسول . فإدراك هذا فاعلم إلى أحداث تعد ضرورية لفهم
 رسالة الرسول كدحول اليهودي الخريصة . ثم دحول النصيب
 ثم ما بين الدينين "الكنانيين من صراع . وما بينهما مجمعين ومن
 الوثنية من معارك لاسمى ، من قصة الوثنية نفسها وكيف عرف
 العرب لأصنام فاشركو بعد أن كانوا أمم حدين على منه أراد عليه
 السلام . . ولا شك أن كل هذا له قيمة وأهميته في التمهيد للحديث

عن الرسول وحده لا أن عماد كتب السيرة في رواية هذه
الجزء المهد للسيرة نفسها إنما كان عماد على نفس المصادر الذي
اعتمدت عليها كتب الروايات والأطير ككتاب وهب وكتاب
عميد .

وإذا كان وهب جمع كل شيء دون "تقييد لا لئلا" يربح .
وإذا كان عميد قد أقرم فيها بجمع قصاصين تمشي مع الدين الجديد ،
فإن ابن هشام كما يرى يلغرم "أمر ما يجمع ما له علاقة بالرسول في اسمه ،
أو بالرسول في رسالته .. فإذا ما تعرض لأحداث تاريخية أو
أسطورية لا علاقة لها بكتب الرسول أو بالحركة الدينية في الجزيرة
فهو يتناول تاريخ ليس عماله علاقة بإشارات القرآن العديدة إلى
هذا التاريخ ، كعاد وأهل الأحود وأصحاب اليمين .

وكتب السيرة هذه تبيع فيها جميعا ظاهرة هامة وهي الاهتمام
بالمعاري من أن الاسم الذي عرف لهذه الكتب في أول الأمر
هو اسم المعاري . وهب وأبان بن عثمان وعروة بن الزبير
وعاصم بن عمر يشتهرون جميعا بأهم من كتاب المعاري . ومعنى
هذا أنهم يتبعون حياة الرسول خلال المعارك التي حاصها ولو وقع
أن كل كتب أسيرة حتى التي تناولت من حياة الرسول أكثر من
قطاع وقفت كلها عند المعاري ووجه طويلا . وهذا الانحصر يكشف
عن ما تحاوله هذه الكتب من وصل لتاريخ العرب القديم بآريهم

الحديث . وتاريخ العرب القدم سلسلة من المعارك والعروض .
فكان من الطبيعي أن يلتفت العرب في تاريخهم ، لحدث إلى
العروض والمعارك . ولا غف أن تنورت في نفوسهم شخصية
الرسول (ص) فنحل تدنيا مكان أساطير الأساطوريين الذين
يسبون . هم القوة واغدره وحرب القوى الخفية . . فاعرب كما
لعلك رأيت في حكايات وهب يقتصد . أنهم يحملون إلى العالم
رسالة إيمان ، ويعطون أعضاهم هذه السمة : سمة المدافع عن حق
معين . وهذا الحق يبدو في بعض الأساطير مهما عامضا . وهو
في بعض الآخر يأخذ جانب الكتب السماوية . فهو مرة مع
اليهودية وهو مرة مع المسيحية . إلا أنه لا ينجار من أحل الشر
أدأ . ن إن حروبهم دائم مد مطلق ما يدكرون من أساطير
تقف إلى جانب رسالة ما بصورة دنة . وقد اناجت له شخصية
الرسول كل السمات التي سحنون عنها في أساطيرهم . فقد كانت معاركه
كلها معارك تداءر لبدأ ، ودفاع عن إيمان . وحرب ضد شرك
وكفر . كانت معاركه من صورة واقعية لأحلام أسطورية كثيرة
رودب ذهن العربي وملأت خياله من غير

كل العربي يتبس أنطاله في أعماق التاريخ في حبه التساع والخرهمين .
وكان يفس أنطاله شر . أعصم يارتج هو إليه ، ويطنش إلى أنه مثل ما فيه
من مصاش . ويحقق برعته إلى البطولة المتكاملة . . وفي التي تجسدت

هذه الفضائل ونحقت النزعة البطولية المتكاملة . ولذا هاتني (ص)
 يحتل في هذه القصص مكان الطل ، ويمثل فيها جماع ما كان العرب
 يحملون به من مثال لبطولهم الذي يحمل السيف دماء من حق معين
 تسنده قوة حيرة تعينه على هزيمة المشركين . وتفتح أمامه لظريق ووزن
 من أمامه العقبات . بينما هو وقلة من رجاله يحالدون أهل اشرك
 اكثيرى العدد ولعدة حتى ينصر وينصر معه إيمانه الجديد
 ورسالته الجديدة . ومحمد بعد منهم ما في ذلك شئ يرفعون نسبة
 إلى إسماعيل حجة قير في كل أب من أمته رابطين سلسلة السب
 الشوى مجموعة من . لأعمال التي تمهد سطوله الكماله عند محمد .
 ويقول ابن هشام في الجزء الأول من السيرة : « فرسول الله صلى
 الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسا ، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه
 وأمه صلى الله عليه وسلم . ومن الأحداث التي نسبت إليه (ص)
 أنه قال : « ما ولدني نبي قط منذ كسب في صلب آدم ، فلم تزل
 تنارعي الأمم كإبرأ عن كار حتى حارحت في أفضل حين في
 العرب : هاشم وزهرة . »

ومواقع أن السمة الأولى في أقطاب العرب اتصال نسهم
 اتصالا واضحاً لا حين فيه بادم . فالشرط الأساس للطن لعربي
 أن يكون شريف النسب ، صحيحه ومتصله . . وفي كتاب وهب

وكذا في كتاب عبيد بن نوح بطلا تاريخيا واحداً لا يذكر بك
المؤلف نسبة إلى بصله بآدم . وكأنهم يحدون في شرف نسبة
نظهم شرقاً لهم أجمعين

وأحب هنا أن ألفت إلى ظاهرة هامة مشهورة . ذلك
أن أبطال العرب قبل الإسلام كانوا جميعاً من عرب
الجحوف أي من اليمن . بينما محمد بن النضر الحنظلي الأول من
عرب الشمال . ولذا فقد كان احتفال الشمالين بظهوره احتفالاً
خطيراً وهاماً . فقد ظلوا يدافعون بطولاتهم باستمرار حيث
كانت الحضارة والمدنية وعروهم أنهم بعد عرب . . أما وقد ظهر
فيهم نسل شمالي بسا وحسب فلا عجب أن استعصوا به عن غيره
من أبطال أساطيرهم القديمة . وأنت تعرف هذه المحاولة العنصرية
المظهر التي وددت عند عبيد بن شربة لدى أرادها وهو اليمني
أن يصيف هذا النسل الشمالي إلى قومه ويقول . . حتى كان اسماعيل
وقفه أبوه إبراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده . فأمر له بمكة .
فكننا نحن حرهم أهل البلد والحرام . فشا اسماعيل ينشأ ومكلم
بسلام العربية وروح ما جمع ولد اسماعيل من بنت مضاف
ابن عمر الجرهمي واسماعيل وأبوه منا . وأنتم يافريش منا .
والعرب بعضها من بعض . ألم تعلموا مكهم من ولد اسماعيل من
إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وإبراهيم من ولد نوح وأبوه آدم
واسمه ناح من ناحور بن أرمو بن شراح بن فالج بن عابر . وهو

هوذا ، هو أوباما وأوبوكم . فنحن ولدناكم وأنتم منا ونحن منكم قليل
في كثير .

هذه المحاولة من جانب عيد بين أهمية ظهور هذا اسطل
الشمالي عند العرب . . وهو كراو يمي يحاول أن يمزج الطولتين
بعضهم بعض : بطوله التي الشمالي سطولة العنبيين التي امتلأت
بأكثر من بطن وأكثر من أسطورة . .

وواقع أن لتلن العربي تتجمع فيه سمات هامة : أولها
اتصال نسبه بما يشع عروته وشره وأهمية آتاته جميعاً . وثانيها
دفاعه عن مدأ وعقيدته . وأما كان هذا المبدأ وتلك لعقيدة فلا بد
أن تكون حيره مؤمنة . وثالثها أن تستند قوه عينية حارقة تثب صحة
ما يدافع عنه من مدأ كما تثبت أهميته هو في عالم لأبطال الخالدس .

هذه السمات تحدها في كل أبطال وهب وعيد . فليس منهم
إلا كل ملك يخلص نفسه بأثاته من الموت حتى يصل إلى هوذا ومن
هوذا إلى آدم . وكلهم يدافعون عن الإيمان سواء كان هذا الإيمان
هو التوحيد بعامة أم هو دين من الأديان الكتابية . وكل منهم
له قوه عينية تسير خطاه . ولعن هذا أوصح ما يكون في قصه
دى القربين لنذى يأتيه الوحى من أحلامه أو من إرشاد رفيقه
الخالد الخصر . بل أن معطر أبطال الذين إن لم يكونوا ملوكا فهم
أبياء يحترق لهم الحب والإنس والرياح والوحوش كسليمان بن داود
أو كصالح النبي أو هوذا نفسه

وفي محمد (ص) اجتمعت هذه الصفات وقد حدثك عن
 نفسه ، وانت تعرف رسالته ، بقيت القوة الخارقة وهي السمة
 الثالثة في البطل العرفي . وهي معها التي ستفسر لنا في بساطه
 ويسر ما امتلأت به كتب السيرة من أحداث حارقة حسب
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . أت قد نرونها عقلا .
 وقد شكرها دينا . ولكيك ستعرف منها في كتب السيرة حين
 تعرف أنها تحقق شرطا جوهريا من شروط أبطال العرب .
 فقد كان من الطبيعي إذن أن تصف هذه المكتبة إلى الرسول كطل
 كل علامات التأييد المعيني كالملائكة التي تحارب في صفوفه .
 وكعرفته لما يدور في الخفاء . ثم صور إيمان الناس في مختلف
 العصور والأزمان به ورسالته . الناس واحدا أيضا .

وهذا كله يمشي حسب لثالث في اتحاد السيرة شكل القصة وهو
 سبب كما ترى انتهى يتعلق بتصور العرب لأبطالهم . وبحاجة العرب
 إلى نطل جديد يجمع سمات الدين الجديد الذي آمنوا به . ويجمع
 في نفس الوقت سمات أبطالهم بقدايم ويميزتهم

فالأسابك كما ترى هي أولا أن النبي وسيرته كان فيهما إعناء عن
 السير الجاهلية لشعب أمر به ورسالته . وهي ثابت أن العرب
 منعوا في القرن الأول للهجرة من رواية أحاديث الرسول ورجوه
 في السير متنفسا لتداول أحاديث نرسون وحكايات حياته . وهي
 ثلثا أن محمدا كان شماليا يشق لبص الحديد المسمى يجمع في نفس

الوقت سبب السطى العربى فى كل مراحل التاريخ لأسطوري
للعرب

وهذه الأساطير المتداخلة المتشابكة يضاف إليها سبب جوهري
هام وهو حاجة العرب إلى أن يعصص باستمرار وقد أنشأ
من قبل أن أدهم الأساسى كان هو القصة . وأن مجالس أسماهم
لا يمكن أن تخلو من القصص . وقد هى لاسلام عن الحاهلية
وسيرة أهلها فكان لابد من البحث عن مصدر جديد
للقصص والأساطير .

والسيرة النبوية بهذا صنف كمرحلة انتقال بين الشكل لقصصى
الذى عرفه العرب قبل الإسلام وبين شكلها الذى تطور فيما بعد إلى
القصص العربى الإسلامى . فالذى لاشك فيه أن السيرة قد أثرت
فى القصة العربية تأثيراً صحيحاً وكبيراً

وأتى أن تجد قصة عربية بعد هذا ولا وهى بدأ بسبب السطى
وقيته . واتصال هذا السبب وحده . وشميه ثلاث الفينة
وحطورتها . ثم أن تجد قصة بعد هذا إلا وطلبها يدافع عن حق
وقضية . ويجرب شر كما وكبراً . ثم أن تجد طلالاً لا تؤيده قوة
عبيد تسدد خطاه وتعينه . فكان أن أسيرة كانت قوة للأعمال
القصصية قبل الإسلام ، تلورت منها كل سمات القصة العربية
لنعقد بعد هذا مصدر أن يصر القصصى عند العرب .

صيف من دى برن الطل لأسطورى يصل بسه من لشاعة
 حتى هود ثم آدم ، وهو يدافع عن الإيمان والتوحيد بصورة عامة ،
 ويتحارب الشر والكفر بصورة عامة . وإن كان في كثير من
 الأحيان يحدد صورة الإيمان بأنها دين ابراهيم الخليل وهو
 مؤيد بالحن المؤمنين ومجموعه من لطالسم التي تفصح له كل معلق ،
 بن هو مؤيد بقوى مؤمنة صالحة كالخضر الذي يطهر له أكثر من
 مره وكعبيره من الأنبياء الصالحين الذين ينتظرونه ليهنوه
 سواء السبيل .

وعبره يتصل بسب أبيه وسب قبيلته بنى عمن تعودو
 أشرف قبائل العرب ، ودا ما اسمرت القصة قبلا اكنشفت أن
 أمه بنت ملك الأحاش هي دعم كرسها أمة في بلاد العرب إلا
 أنها شريفة نسب ، بن هي أكثر الخشيات عره ومكانة ..
 وعميرة قوى قوة حارقه وهما له الله نجمله يعوق الدش حمية وقت
 الصدم . وحين تعور لمؤلف رسالة بصيقها إلى عنزة فهو يقول
 إن عنزة سبط على لعرب ليقصى على كل جبارتهم قبل الإسلام
 يمد هذا للنبي ، ثم يظهر إلا وقد قتل عنزة كل جبار يحشى على
 الرسول مه

وكما أثرت السيرة في القصة العربية من بعد فكذلك أثرت في
 الحديث النبوي . فقد انتشرت هذه الكتب وكأنها تحوى عبا

حقيقياً لا جمعاً أسطورياً لما سقى الرسول من أحداث ، وروايه
قصصية لأحداث حياة الرسول . . وهكذا دخن الحديث الشيء
الكثير من الإسرائيليات والوسع . . فنت ترى أن مصادر هذه
الكتب كانت رواية الأخبار كوهب وعيد وغيرهم كما كانت
الكتب المختلعة التي تناول أساطير العرب وحكاياتهم ، بل أنت
ترى أن من العاملين في تدوين السيرة مؤرخون لأساطير العرب
كوهب بن منبه نفسه .

وأنت تستطيع الآن أن تدرك سر كلمة لإمام أحمد بن حنبل
التي أوردها السيوطي في الجزء الثاني من الانقذ إذ يقول . ثلاثة
ليس لها أصل . التفسير والملاحم والمعارى .

أما تفسير فلأنه استمد معظم مادته من كتب السيرة وما تحكى
من قصص وحكايات . . وأما الملاحم فقد رأيت معى عند الكلام
عن كتاب عبيد أنه روى على لسان سح الأوسط ٦٩٤ بيتاً تحكى
حياته وأعماله ويمكن اعتبارها بعد جمعها ملحمة كاملة ، وهي كما
ترى من النظرة الأولى موضوعة ولا شك ، فبمع لم يكن يعرف
العربية التي كتب بها الشعر المنسوب إليه . أما المعارى فقد كنت
كما رأينا كعمل قصصى يمثل الأمة اد لما عرف العرب من قصص ،
فلم يكن القصد من تدوينها العلم والتاريخ صدر ما كان القصد من

تدوينها المر والامع ، وتحقيق الصورة الكاملة للطل العرفى كما
تصوره كتاب هذه المعارى .

كلام أحمد بن حنبل إحد صادق صدق كلام الخمر العارف ، وهو
فى نفس الوقت دليل على صدق ما وصلنا إليه من شأن هذه
الكتب . أعنى كتب اليرة

وكتب سيره كالأبنا تمنى الركن الثالث فى أركان الفصة
العربية فى هذا العصر الذى أسمى به عصر التجميع .. فهى تمنى النوع
الذى يعنى بأحداث تتعلق بهرد واحد . وهو الرسول صلى الله
عليه وسلم . سواء كانت هذه الأحداث قد أحدثت مكانها قبل مولده
أو بعده .. إلا أن هذه الكتب فى لوقت نفسه تعتبر مرحلة
الانفصال بين عصر التجميع هـ . وبين عصر التدوين الذى يليه ..
فهى قد استفادت من الركنين الآخرين فى عصر التجميع وأحدثت
منها كل ما يمكن أن أحدثه لينكامل له الشكل القصصى وهى قد
أضافت إلى كل هذا مقاييد جديدة إلى العمل القصصى العرفى تظهر
أثارة بعدد ، فيما جاء بعدها من أعمال . وهى تروى فى جزء
كبير منها أحداثاً واقعية شهدها أكثر من واحد وروها أكثر
من واحد . وأعنى حياة الرسول (ص) وهى والحانة هذه نقله إلى
الكسابة عن معلوم معروف ، لارواية مصاعفة عن روايات قديمة
معروفة وحسب ..

وأحسب أنه من المعيد لنا أن نقف وقفه صغيرة عند أحدهد
الكتب نعرف عليه تعرفا واضحاً ، وأحسب أن أقرب هذه
الكتب إلى احتمال الصورة سرده ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام ،
وحققت لها وقدمها لطبعة العرس في أربعة أجزاء الأساتذة :
مصطفى السقا وارايم الاياري وعند المخططين تحت يد السيرة
النسوية لابن هشام

سيرة ابن اسحق

لعله من العجيب حقاً أن ينظر إلى كتاب ابن هشام الذي يرويه عن ابن اسحق نظرتنا إلى كتاب تاريخ حقيق يؤرخ لحياه الرسول تأريخاً يراد منه وحده لعلم والحقيقة وحدها . فثمة أشياء تقف دون هذه النظرة وتجعلنا نحاصر فيلما ونحن نحاول أن نصنع هذا الكتاب في مكانه بين الكتب .

أول هذه الأشياء أن ابن اسحق المتوفى نحو عام ١٥٢ هـ كان حاشية موبناً لكل ما واه من سنده من السابقين المحدثين أمثال عروة بن الزبير ووهب بن منبه وابن شهاب الزهري وشرحibil ابن سعد وعاصم بن قتادة وعمر بن وهلولاء جميعاً أعمال متفرقة في السيرة ، ومهم من تناول فترة بدايتها ، ومهم من اهتم بالهجرة إلى احشيه ، ومهم من قنصر على حكاية الامارى ، ومهم من حكى عن رسول الله (ص) .. وجاء ابن اسحق ليؤلف من هذه كله عملاً موحداً ، يجمعه بما ناقله هؤلاء الرواة ، ويؤنه حسب أحدث الترخيع وحسب المكان والزمان ..

ورغم أن كتاب ابن اسحق نفسه ليس تحت أيدينا إلا أن رواية ابن هشام لكتابه نيل منهج ابن اسحق وتوضح طبيعته عمله .

و لواقع أن ابن هشام يحاول أن يتدخّل في كثير من المواقف ليقدر
 ويعارض ويشرح ويصيف ، فإذا ما أعمل شيئاً نصدي السهيلي
 في بعض الآلف ببيان خطأ تاريخي أو تصحيح رواية تتعارض
 مع أحداث . . . أو طبعها . . . فعمداً يتحدث ابن اسحق عن
 فرض الصلاة في السهيلي بهول عبقها وفدأ ، وهذا الحديث
 لم يكن يسمى أن يذكره في هذا الموضع ، لأن أهل الصحيح
 متفقون على أن هذه القصة كانت في العدم من ليلة الإسراء وذلك
 بعد ما بنى خمسة أعوام . وقد قيل : إن الإسراء كان قبل الهجرة
 بعام ونصف ، وقبل بعام ، وذكره ابن اسحق في بدء نزول الوحى ،
 وأول أحوال الصلاة . . .

وسكر هذه الظاهرة كثيراً في موضع محقة من رواية ابن
 اسحق ، ومعنى هذا أنه حصل على كمية كبيرة من الأحبار
 والقصص وحاول أن يرتبها ويترجمها في هذا في عالم الأحياء ،
 وجاءه لتوفيق في بعضها فكشف هذا عن طبيعة عمله الذي يقوم
 على التجميع لأعلى القدر والتحريض ومقابلة الرواية بأخرى ومحاولة
 التحقيق لنا يحي .

ونرى ابن هشام يتدخل كثيراً ليكمل حادثه أشار إليها
 ابن اسحق إشارة وتركها دون إفاضة ، كما فعل في قصة داود
 والعراء وحروب الأوس والخزرج وغيرها . . . وهذا ربما كان

يعني أن من سجد لم يحد من رواياته إلا ما يفهمه هيكلي
كشبهه، وما أراد عن هذا الهيكل تركه حتى وإن كان في ذكره ما يلق
أنصه على الأحداث عنها، وهذا كما قلنا ما حاول هشام
أن يتلافاه وسكته.

فمن استحق إذن نفس مؤيداً لمعنى لغوي لهذه الكلمة، وما هو
جامع ومبوب - كانت السيرة مثله أجراً متفرقة، يروى كل
من تناولها حاجة، فجاء هو بجمع هذه النواحي كلها في مرجع
متسلسل تاريخياً ..

وأروا الذين سبقوا من سجدوا هذه القصص وجمعوا
لأساطيرهم بقصصوا - كما سماه من قبل - تاريخه، وإنما كان
عملهم إلى حد كبير - محاولة لإشباعهم لغيره إلى القصص،
وعدم إحصاءوا شخصيه محمد (ص) نظراً لقصصهم استعاضة به عن
أخذ الحاشية الذين يقصرون عنهم لأنهم وجدوا في شخصيه وفاة
ملائع وسط العري وسمنه - كما كانوا يحاولون أن يصيروا إشباعهم
المسلمين إلى حديث عن سولهم في وقت مع فيه الخفاء أصحابه
من تدوين الحديث وجمعه كنفاء ما عدا أن السكينة وبكفي أن
يكون في طبيعة هؤلاء الرواة واحد كوهب من منه أكثر جامع
لأساطيرهم ليرى في هذا الدليل على ارتباط السيرة في أدهن
هؤلاء الرواة بالقصص ..

وحين جاء ابن إسحق فجمع كل هداية لما سنه . ومكروا به
أول كتاب مكاش في البيرة : تعرض للإيهام والخلة عليه . فحدد
عالم حليلا كالإمام مالك بن أنس . وآخر كعشام بن عمرو بن
الربيع يكادان يخرجان من حظيرة المحدثين أهل الصدق والثقة ،
ولا يذوران وسعا في اتهامه بالكرت والذهاب إلى حاش اتهامات
أخرى كالنقل عن غير الثقات وصح الشعر ووضع في كتابه
وأخطاء في الأنساب وغيرها

وحين رى أسباب كثيرة لأمثال هذه التهمة فيها رويه ابن إسحق
من قصص تخرج عن حد المعقول وتعارض وطبيعة محمد البشرية
وحقيقة رسالته كل انتعاص . فالصورة التي يخرج بها عن محمد
من كتب ابن إسحق أقرب إلى الصورة الأسطورية منها إلى الصورة
الدرية . فهو يدعو به فيل الماطر . وحين يحل نطله شجرة
الأنبياء ، وحين يسير تمنع عنه الشمس عمامة . إلى آخر ما في لكتاب
من معجزات . .

وعذر ابن إسحق كما قلنا أنه يجمع روايات شتى ويهب أكثر
من رواه وفيهم من تتعشق الأساطير وفيهم من يكسب الأساطير .
ويحاول الخطيب في كتابه تاريخ بغداد ، وابن سيد الناس في
كتابهم عيون الأثر ، أن يدافعا عن ابن إسحق دفاعا حادا . ولكنه
لا يستطيع أن يمحو هذه الحقائق الموحودة في كتابه . إلا أن كلمة

الفصل ثانی علی لسان أحد المدافعين عنه بد يقول ابن عدی .. ولو لم يكن لاسحق من الفصل ولا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل به شيء للاشتغال بمعارى رسول الله (ص) ومعنه ومنتداً لحائق ، لكانت هذه فضيلة سبقها ابن إسحق .. وكتبته بهذا الاعتراف كتب بصرف الناس عن ذكر موت الخاهلية وأبطال أساطيرها إلى ذكر رسول الله وعبراته .. ومعنى هذا أن ابن إسحق ربما كان يجمع قصصا عن الرسول ويرتها ويروها ويقدمها لامتكامته لتقف أمام سير موت العرب وأبطالهم وتفوق على كل هذه السير .. لمحمد من لصوق بقلوب العرب والمسلمين ، وبما لأحداث حياته من أهمية في عالم المسلمين يبرزها الدين والعصية وهدف امشرك ولعل بعد هذا رتاح إلى أن كتاب ابن إسحق لم يتصد منه إلى السراج . وربما قصد منه إلى جمع لقصص كما هي ظالما استطاعت أن تؤدى دوراً في كشف عن حروب البطالة في حياة الرسول ، وإبراز ملاحم الكفاح في مراحل حياته ..



ثاني الأشياء التي نواجهنا ونحن نبحث مكان كتاب ابن إسحق بين الكتب هي طريقة تأليفه للكتاب . وابن إسحق يبدأ كتابه بالسوية بأنه يعرض فيه لسيرة رسول الله محمد بن عبد الله بن

عبد المطلب .. فبدأ بذكر نسب الرسول حتى آدم .. ويحدد موضوعه بأنه ما يتعلق بحياة الرسول ونسبه ويطبق على أحداث سيرته من الأصواء ما يحل رسالته ويظهر أهميته دعوته وتطورها ويأتى ابن هشام فيأخذ مما جاء به ابن اسحق حسب منهج خاص وصحفاء ، ويبين منه أن الأمر تنبع لأهم الشخصيات الى حاتم في نسب الرسول وهو تنبع لا يخضع للتاريخ بقدر ما يخضع للأهمية الأسطورية . فأتى لرواه بقدر قدر آ من تنبع نسب الرسول ومحاولة معرفته مكانته بين العرب الى أحداث تقع في السن فتؤدى موت ملكهم ربيعة بن نصر ودحوول الخديشة الى اليمن ثم عودة ملك على يد سيف بن ذي يزن ثم انقطاعه ظهور رسول الله في مكة . والأحداث كما ترى أسطورية الدلالة ، أسطورية التأليف ، وهي تتعلق بموت اليمن الذين تعلم بما ذكرنا عنهم من قبل أنهم كانوا المادة الأسطورية الأولى عند رواة الأساطير العربية .. ثم تستمر الحكايات عن دحوول اليهودية الى اليمن ، فدحوول النصرانية ، ويوم القيامة ، وتوقف عند عبد المطلب قليلا ثم تستأنف القصة سيرها حول أمه الفرس بانيمن ، فبدأ ظهور الأصنام وعبادتها ، ثم عودى الى النسب فيقف وقفة طويلة عند عبد المطلب بن هاشم ويحجره هذا الى الحديث عن رمرم .. وهنا تبدأ سلسلة أخرى من الأساطير حول البيت ومن تداولوا على السكنى حوله من حرم الى كسابة وحرره

إلى قبري . ومن ثم أيضاً يتطرق إلى حياة عبد المطلب وأولاده إلى أن يصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا الحديث كله رغم أنه يحاول أن يلبس سمعة لعلم بما يورد من أنساب إلا أنه لا يخرج في شيء عن مهج سبق أن رأينا عند وهب من منبه في كتابه الثيجان . وعند عبيد من شربة في كتاب أحبار ملوك اليمن . فليسيرة رواية أحداث والأحداث يعتمد على أفراد بناتهم وحوالهم تدو الأساطير . فسم كل أسطورة إلى التي تليها فإذا ما انتقنا إلى باقي الكتاب رأينا يدع نفس الطريقة فهو يسبق من حدث إلى حدث ، ولكل حدث طعن يدور حوله لحدث ويسم إلى لدى يسه في القصة الدالة وهكذا

المرء الوحيد أنوها كان يجمع الروايات حول ملوك اليمن بعامة وكأنما يريد أن يصور حضارة اليمن ومجدها عن طريق سرد أساطيرها وعبيد كان يحكي من أساطير اليمن ما يعطى معنى إسلامياً وماله علاقة بالقصص المرآة . أما ما استحق فهو يجمع الروايات التي لها علاقة بمحمد كاسان ومحمد كنى . واهتمامه بمحمد الأنساب جعله يجمع مائه علامه نفسه ونسبه وحدوده . أما عنده بمحمد التي جعله يعنى يجمع مائه علاقة بالاديان في الحرية من ديانته الخبيثة إلى اليهود ثم المسيحية مع ذكر تاريخ عباد الأصنام . . . وكأنما يحاول أن يرسم صورة لتاريخ قس محمد . فإذا ما بدأ في

يذكر لطرود بن كعب في نفس الحادثة ٧ آيات . . وليس معقولا أن كل أولاد عبد المصعب ساء ورحالا يقولون الشعر . . كما أن لشعر الذي أورده ابن اسحق ليست له قيمة فنية توجب إثباته . بما الأمر فيما يرى قلب يسمعه ابن اسحق بقلا عن كتب الأساطير وحكايات ، وهو لا يقتصر في استعماله على ماله علاقة ساريح العرب الاسطوري القديم وحسب وإنما يتجاوزه إلى ما يورد من قصص تتعلق بشخص النبي وأحداث حياته وكفاحه . .

الاحتلاط بين صور السارحية والصورة الاسطورية ، والسير في تأليف القصة على النهج المعروف عن أصحاب الاساطير العربية يكونان منهاجاً للكتاب يثبت علاقته الشديدة بالمثل التي حثها ابن اسحق وهي ماسقة من كتب ككتاب وهب وكتاب عبيد . .

ومعنى هذا أنه فهم مسيرة محمد (ص) كما فهم وهب مسيرة الحارث الحرهمي مثلا أو كما فهم عبيد مسيرة نوح . لا وسط مثلا من حيث البناء والتركيب ، ومن حيث نهج الرواية والتأليف . وهذا يؤكد أن كتاب ابن اسحق اقرب إلى العمل القصصي منه إلى العمل الأدبي القائم على البحث والمقارنة . .

* * *

ثالث الأشياء التي تحدد مكان كتاب ابن اسحق ، موقفه عما يجمع من أحداث وطريقة ربطه بينهما . فهو كما قلنا يحكى دخول اليهودية بلاد العرب ، ثم دخول المسيحية ، ثم نشأة عادة الأوثان ، ثم قلق أهل الجزيرة من قریش من كل هذه الأديان ومحو لتهم السحت عن دين الخنيفية . وكل ما يرويه حول هذه الأديان يعلب عليه الطابع الأسطوري ، وإن كان يجمعه حيط واحد هو التهديد لظهور الدين الجديد . فإذ ما أوشتك أن يتحدث عن الدين الجديد فهو يورد مريخاً أسطورياً حديثاً يعلن دور هذه الأديان كلها في التبعية لمحمد وأعداد الناس لإسقبال رساله ودينه .

فابورد تنأوا بمحمد منذ نع الأوسط حين قال له حران من اليهود أن يكف عن المدينة فلا يهدمها لأنها مباحرة بي يظهر في مكة . ومنذ قصة بحيرى اليهودى التى امتلأت . أحداث اسطورية واضحة كاسطن والعممة والشجر التى تسحر للصبي الصغير محمد أثناء رحلته مع عمه أبى طالب ودور اليهود فى التنبؤ كبير ومتعدد .

أما المسيحية فهناك قصة لا تقص فى تليقها وسياقها وما فيها من أحداث اسطورية عن قصة بحيرى ، تلك هى قصة نسطور فى رحلة محمد مع ميسرة فى مال حديجة . وهى لعمري أحداثاً تؤكد نبوءة

سطور رسالته محمد كاشجره التي وجدت حصيصاً لتطل محمد ،
وكالمسكين يظلاله إذا صار . . . وهناك دور ورقه ابن توفيق الذي
يكثر حمله الشعر وتكثر الحكايات . وتأني قصة سنان وكيف
سأل رجاا الذين النصارى . من وكيف التقى بالمسيح نفسه مما يصو
على أحداث قصته حواء حيا . أسطور ما يقود كله إلى نشوء النصارى
محمد ورسالته .

أما الوثنية ونبش الحكايات عند ابن اسحق حول كهان العرب
وما كانوا يتلقون من علم بالهيب عن طريق الشياطين . ثم ما سبق
طهور محمد من . حم للشياطين بالحووم ثم جعل أكثر الكهنة
يؤكدون طهور . . بل إن سطحا وشقا الرهين بقبيل محمد
مندريعة من نصر ملك اليمن . ويحتمل انه زوال ملك اليمن على يد
الاحباش ثم عودته على يد سيف من دى يرب ثم انقطاعه بظهور
اللى محمد (ص) من شمال الجزيرة .

والمسألة هذه الصورة تكاد تكون تافهين أدباا لحريرة في
الإدلال بالمصطفى معرفة الرسول والتنبؤ به وتنبيه الأذهان
إلى رسالته

وتنص ابن اسحق لكل هذه الروايات . وواضح إن كل
وحدة منها لها مصدر بداهة . إنما يعنى حيدده لكامل تجاه كل هذه

الأديان . فهو أولاً لم يحاول أن يناقش أى رواية من هذه الروايات ومن كانت واضحة الوضع مليئة بالأساطير والاحداث التي لعب عليها الخيال . وهو نابعاً يجمع كل قصص التي تمهد لظهور محمد سواء كان مصدرها يهودياً أم نصرانياً أم وثنياً . وسواء أعدل بموقف يهود أم بموقف نصارى أم من موقف الوثنيين .. والذين يهمهم بها كذب أم لا .. هاجموا بمحمد ورماسه بصرف النظر عن مصدرها أو دلالتها أو أهميتها .. وهو ثانياً يقل المتناقضات التي في كل هذه الروايات لم يحاول كل منها أن تخط من الأديان الأخرى وترفع من ومرتباتها .. فالروايات اليهودية تعلن إن اليهود يعرفون محمداً إذ هو مذكور في كتبهم بصفاته وعلاماته ، واليهود مؤمنون بصلوات الحسن أو هسكدا يروى ابن اسحق في صفحة ٢٢٧ من حركته الأولى والمسيحيون يتناقض قسمهم الآخر ، يظهر محمد كعلامة لخلاص البشرية وظهور الدين الصحيح ، بينما يظهر عيسى بنفسه ليحرم سلطان هذه اليهود أو هكذا يذكر ابن اسحق في صفحة ٢٢٦ من الجزء الأول أما أصحاب الوثنية فهم يكفرون الأديان ، فعدم أن اليهود يعبدون عزرا وأن النصارى يعبدون عيسى بينما هم أى الوثنيين يعبدون الملائكة .. وهذا ليس قصص شبيهة في أكثر من موضع بعد هذا وقبله ،

فالرويات تارة نخط من قسرين منها وتارة ترفع من شأنه
واسحق يجمع هذا كله بدون تفرقة .

وهذا كله يعنى أن اسحق لم يكن له موقف عسى واضح .
يعنى أنه لم يحدد نفسه حدوداً يقف فيها الرواية أولاً يقبلها . .
كما لم يعن لقبه لصفات حداء . س لم يحاول أن يناقش أياً
من الروايات بنى يقف .

بما اسحق صاحب موقف آخر . هو الموقف الوحيد . .
والذى لا شك فيه أن اسحق كان مؤمناً بمحمد دائماً لشخصيته .
والذى لا شك فيه أيضاً أن حسه الذى كان مرهقاً يتدقق لقصة
ويستطع ما بها من مواضع أنبأها الخيال وتولدت من الحب
أو من دعواه . ومن الإحسان أو محاولة الظهور بشيء فضل ابن
اسحق كل ما يرضى وحده بما يكتب سيره محمد اخو لى الذى
يحب . والذى يجمع ما هو أروع من كل سيرة قبلها . . ولعل
هذا هو السر فى أنه لم يرفض أى رواية . ولعل هذا هو السر فى
أنه لم يعف خطه شاكاً أمام الحكايات العربية التى تروى عن
محمد اب محمد ولتى بحرح محمد آ عن طبيعة رسالته وحقيقة دوره

على هذا الصدد . يمكننا أن نسمي عمل اسحق فلا يطبه كما فعل
الإمام مالك بن أنس الذى لم يرضه عنه . . نظر إليه نظرة العالم
الباحث عن الحقيقة . ليرحمه ولعنه . . وما اصنع عنه فى المكان

اللائق به . أعنى في قوة الأعمال المصنوعة لإسلامته . أو لمثل
 المكامل الذى يقدم لصورة كاشفة من عبور عصر التجميع في
 الرواية العربية من يستطيع أن يقول أيضاً إنه يمثل وحده مرحلة
 الانتقال بين الرواية العربية وبين الإسلام يمثلها وأسطرها، والرواية
 العربية الإسلامية التي تطورت وامت ووصلت إلى قمتها فيها حد .
 والعصر في هذا كله يرجع إلى حسن أو الحق أم هو الذى استطاع
 أن يستخرج من كل أرواب حول هذه السيرة المظلمة المسفة
 التي تحوى تاريخاً قصصياً جميلاً حياة محمد صلى الله عليه وسلم
 ولم يكن مصداقاً من التاريخ والحقيقة عبية لا شأن له .

ملاحح مرحله التجميع

نح نستطع القول الآن من المرحلة الأولى في الرواية العربية
وأنى أسمبها عصر التجميع تنقسم إلى أقسام ثلاثة . —

١ — الأساطير والروايات ذات المصامير الدرامية والتي عرفها
العرب عن أبطالهم القديسي مد خلق الله آدم إلى عام الفيل
وأحداثه . ويقف على قمة هذا القسم كتاب أبي حنبل لوهب
منه . وهدف أصحابه إلى الإمتاع من ناحية وإشباع حاجة العرب
إلى أبطال يحورون جماع قصاتهم الخيرية وعبه . كما هدف
أصحابه أيضا إلى إبراز لمصمير الدرامه في حوتها حياة العرب
وعاشوا في أسرارها . وهي هذا كله قد حتمت تراثافيا عربيا راجرا
استمد منه العرب في مختلف أطوار حياتهم الروائية . ويستمدون
منه بعد ذلك في كل أعمالهم . فأناره تظهر في الأعمال الروائية
المتأخرة مما يدل على صلاح أصحاب الروايات لما حره التأليف على
أعمالهم وتقديرهم لها وتأثرهم بها .

٢ — أساطير وروايات موحية . أي راعى مجموعها أن يساير
الروح الإسلامية ، والعقلية الإسلامية . وأن لا يعارض مع ما جاء
بالقرآن من قصص إن كان الموضوع واحداً ، فإن اختلف

الموضوع فإن المصموم نوحى به إسلامي ، يخرج دائماً بحكمة
 لاتعاص ومنادى الدين الحريد . ويقف على قمة هذا اللون كتاب
 أحبار علوك ، لئيم لعبد من شريه لئيم يحوى بحالته مع معاوية ..
 وهذا اللون لا تنقيد فيما يجمع من حكايات بر من أو مكر أو
 أشخاص ، وإنما هو حر طلق يختار ما يشاء ، يتص ما يريد على أن
 لاتعاص كما قلنا - مع الدين ، فإن تعاص فلا بد من تفسير
 هذا التعارض وتبريره ..

٣ حكايات السيرة ، وهى حكايات تتعلق بحدث واحد هو
 الاسلام ، وشخص واحد هو محمد - (ص) إلا أن هذه الحكايات
 تبدأ منذ يسجد جامعوها أن ذلك صله بين ما يروون ولرسالة
 الجديدة . وهى تأخذ من الكتب الأخرى ، يخدم هذا الحدث
 ويركوز ما عده ، وبعك تنجح في أكثر من موضع قول اس هشام
 في السيرة النبوية

« وهو حديث طويل منعى من استقصائه قطعه حديث سيرة
 الرسول (ص) »

والأحداث عند أصحاب هذا اللون إنما تخدم هدفا واضحا ،
 وحرية من يجمع القصص ليست مطلقة وإنما هى مقيدة بما يقيد
 أحداث سيره نفسها . ويقف على قمة هذا اللون كتاب السيرة
 النبوية لاس اسحق . الذى يمكن أن نعه بحق أول عمل قصصى
 في الإسلام ..

وسيات هذه مرحلة مرحلة التجمع تكاد تنشاه في فهم
الأحداث . وفي موقف أصحاب من الأساطير وشطحات الخيال ،
ومن صورة المثل وصعانه وسياته ، فصلناه في مكانه .

ونحب أن نوضح أن هذه المراحل ثلاث منها من تشاك
والاحتياط ما يجعل لقص القاصع منها معداً ، إنما هي حدود
محاول أن يضحها لسهل البحث وفتح الطريق .

٥٥٥

وبعد فلعلنا استطعنا أن رسم لصورة التي تجلبنا لهذا العصر
لدى يعتبر بداية ظهور القصة في أدبا العربي . ولعلنا أيضا نكون
قد أجبنا عن الكثير من الأسئلة التي أثارها في مسهل المكسب .
وسنأتي واقع الأمر يريد من بحث هذا إلا أن يكون دفعا
لأساتذة المتخصصين في معاودة النظر فيه . و من أمر الشار العربي
ولقصة العربية خاصة فيقدموا لنا من أبحاثهم ما رد اعتبار الأدب
لعرني ويضعه في مكانه من الأدب العالمية ذات الصانع الإنسان .



فهرست

صفحة	
٣	مقدمه
٢٠	الدا سون والقصص الجاهلي
٣٨	اشعر والثر في الجاهلية
٥٦	التيار الشكلي
٦٣	لندوق العربي
٧٣	مراحل دراسة الرواية العربية
٧٥	حركة التجميع القصصي
٨٣	أنواع القصص
٨٦	كتاب التيجان
٨٧	مصاص وى
١٠٦	الحداث مصاص
١٢٠	قصة ذى انقربين
١٣٦	كتاب من كتب
١٤٨	كتاب أحيار ملوك الير
١٦٣	لملاحم الشعرية
١٨٢	كتب السيرة السوية
٢٠٠	سيرة ابن سنيق
٢١٤	ملاح مرحلة التجميع

صدر مطبوعات الجمعية الأدبية المصرية

قصص من مصر

بأقلام :

الدكتور هـ. بهير القساوى : الأستاذ محمد فريد أبو حديد
الدكتور شكري محمد عياد : الأستاذ عبد الرحمن فهمي
الدكتور أحمد كمال زكي : الأستاذ عبد القهار مكاوى
الأستاذ فاروق حورشيد
دراسة ومقدمة : الدكتور عمر الدين اسماعيل
دار المعرفة .

تحت الطبع

مصر العربية : (الدار المصرية)
بحث للدكتور حسن نصار
أناشد صعيدة (الدار المصرية)
ديوان للشاعر الدكتور أحمد كمال زكي
مقدمه للأستاذ فاروق حورشيد
عودة أهل الكهف . (الدار المصرية)
مسر حيه للأستاذ عبد الرحمن فهمي



100



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

Bookkeeper[®]

Desacidification for Libraries and Archives

November 2009

NYU - BOBST



31142 02824 7602

PJ7571 .K5

F12-rmq3